

الجزء الاول



مذكرات

حسن عيسى

بفكره

مَذْكِرَاتُ حَسَنِ عَظِيمٍ

بِقَدَمِهِ

۳۳

۱۰۰

الاهداء

الى زوجتى الوفية ست الجيل التى صنعت معى احداث هذه
المذكرات وتلظت معى بنار الفن فكانت بردا وسلاما عليها. والى ابنى
محمد اهديها له عربونا لرضائى عنه واعجابى به.



*** شكر وتقدير ***

كثيرون هم الذين مدوا لي يد المساعدة ودعموا هذا المشروع منذ فترة مبكرة وقدموا من العون الفنى والمادى ما جعل نشر هذه المذكرات ممكناً وعلى رأس هؤلاء أصدقائى الأساتذة:

★ شريف مطر

★ محى الدين تلب

★ يوسف طه ابراهيم



صورة للمؤلف عام ١٩٣٦م

الباب الأول

الميلاد والنشأة

أنا حسن محمد عطيه الريح على... ولدت في عام ١٩٢٦ في حي في قلب الخرطوم... ومازال يتمثل في خاطري حينما التواضع القديم وكان يسمى «فريق المراسلات» ولست ادري لماذا سمي باسم «المراسلات» بينما كانت محوط الحى أسر عريقة من مختلف الاجناس ومنازل انيقة حول هذا الحى «مثل اولاد قرچ بيه ابوزيد» وعم الجزلى جد صديقتنا عمر الجزلى المذيع المعروف واسرة عندوم (الاثيوبية) والد ملس ويوهانس وأمان وبتين». وأمان هذا كان زميلى فى الانجيلية وهو الذى قام بالانقلاب الثالث المشهور ضد هيلاسلاسى فى اثيوبيا. وقد أزيل هذا الحى وحل مكانه فى الخرطوم الحديثة الحالية مبنى نادى العمال... وكان منزلنا فى الجهة الشرقية منه.

وكان هذا الحى يتكون من صنفين من المنازل المبنية بالأجر ويتكون كل صف من خمسة منازل متلاصقة وكل منزل يحتوى على غرفتين و«راكون» مصنوعة من العروق الخشبية ومصف النخيل والبروش وداخل الراكون «التكل» أى المطبخ، والمرحاض ذى الجردل كما كان حال المراحض فى الخرطوم فى ذلك الزمان البعيد.

وكانت فى مواجهة حينا زريبة ضخمة للبهائم والماشية المجلوبة للبيع وكذلك ما تجمله على ظهورها من محاصيل معروضة للبيع ايضا، وعلى يمين هذه الزريبة تقع مدرسة «كومبونى» ثم مدرسة الارسالية الانجيلية ثم مقبرة ابوجنيزر ثم مدرسة الخرطوم الابتدائية وكان مكانها امام فندق لراك الحالى. وكان رفاعة رافع الطهطاوى مديرها حينما من الزمان ولقد كانت هذه المدرسة احدى مدرستين بالعاصمة الثلاثة والثانية مدرسة ام درمان الاميرية وقد اشتهرت المدرسة الخرطومية بأنها قد رضعت من ثديها اجيال متعاقبة من المثقفين الذين قامت على اكتافهم نهضة السودان وركبه وازدهاره من اطباء وعلماء ومهندسين واصحاب اعمال وضباط فى القوات النظامية وفنانين ومهنيين وغيرهم.

هذه المدرسة أزيلت الآن بكل أسف ليحل محلها برج إسكانى يقيمه احد البنوك التجارية.

انجب ابي من الست زينب بنت البية اخي الاكبر على ثم يوسف ثم شخصي
وفاطمة ونفيسة وعبدالمعظم (عظييه) ونعيمه وصالح وسميت انا باسم جدتي حسن بك
الكاشف

استقر ابي بالسودان فترة طويلة انجب فيها ابنا سالفى الذكر وفي ذات يوم حضر
احد اصدقاء والدي والذي كان معه في سوريا ومعه خطاب من الباشا السوري يطلب
رجوع ابي لسوريا للعمل كما كان يترتب اكبر ومساعدة اهل .

وتحت هذا الاغراء رجع ابي ولكن هذه المرة كان العمل بمنزل الباشا السوري
(كهاوس كبير) ومعناها راعى المنزل ثم رئيسا لكل العاملين بالقصر . . ولكن هذه المرة
لم يتحمل الغربة وخصوصا بعد ان تزوج واصبحت له زوجة وأثنين من الاطفال .
وطلب من الباشا العودة الى الخرطوم ولكن الباشا لم يستجيب . . وجرت المفاوضات
وتحت اصرار ابي بحجة الاطفال هناك . قال له الباشا احضر زوجتك واولادك
نعطيك منزلا وندخل الاطفال مدارس البلد ويكون لهم مستقبل احسن من السودان
مع الاستعمار واذا استمرت معنا الى حين يتخرج الاولاد من المدارس سوف يكون
لهم شأننا عظيما .

قبل والدي السفر وتقرر يوم الرحيل ووصل ابي الى السودان والراوى لم يزل هو
ابي وكان يروى لنا هذه القصص دائما بالليل مثلها مثل الاحاجي . وكان يحمل معه
اشياء كثيرة وهى عبارة عن ملابس صوفيه وحريريه وروائح عطريه وحلى ذهبية .
وطبعنا انا لم اكن قد ولدت فرحت اُمى واطفالها وجيرانها ونحرت الذبائح ودامت
الافراح لمدة شهر كامل وفي هذه المرة لم يفكر ابي للعودة الى سوريا (لسوء حظنا) نحن
الاطفال تحت اصرار اُمى والغربة الصعبة وتوفى حسن بك الكاشف وتزوج بابكر
السريه وهو رجل غريب عن الست ام نفايل والدة اُمى وارملة البك كما قلت وكان
يعمل بمصلحة التنظيم وهذا المعلم موجود الى الآن كان قبل ان يكون مصلحة
التنظيم كان اول مستشفى للخرطوم وهو موجود الان كما هو بجوار صالة غرودون
للموسيقى

كان يعمل بمصلحة التنظيم معاونا وكان يلبس الجبة والقفطان والعمامة مع
المركوب أو الخزاء من الجلد الانجليزى

طلب السيد بابكر السريه من ابي ان يسكن معه وزوجته واطفاله
الحكومي لكى تكون اُمى مع والدتها وفعلا تم له ذلك واستمر الحال الى ان

هذا المنزل وسنحدد مكانه في الخريطة هذا الحى كان يسمى باسم المنازل الحكومية في هذه المنطقة وهي حلة المراسلات ويتكون هذا الحى من صفين من المنازل كل صف مكون من خمسة منازل وكان يسكن هذه المنازل بآبكر السريه جدى وزوج حبوتى وقصاده فى الصف الثانى الشيخ سليمان عبدالرحمن أبو حنك من قبيلة الجعليين وهو والد الاخوه عبدالقادر سليمان وحسن سليمان. كان يعمل فى وظيفة رسمية بترتب رسمى ومعها حوافز وعمله فى ذلك الوقت يسمى بـ شيخ الخدامين وهو اول نواه لمكتب العمل اما ابنه عبدالقادر كان يعمل موظفا وكاتبا بالمديرية بجانب عمل والده كما كان نديما للشاعر المرحوم خليل فرح وقد كان اول من عزف الاغانى السودانية بالعود المصرى. اما حسن وهو الفنان الهاوى المعروف رحمه الله. زميل فى الكتاب بالخرطوم الابتدائية وكان أكبر منى بأربع سنوات.

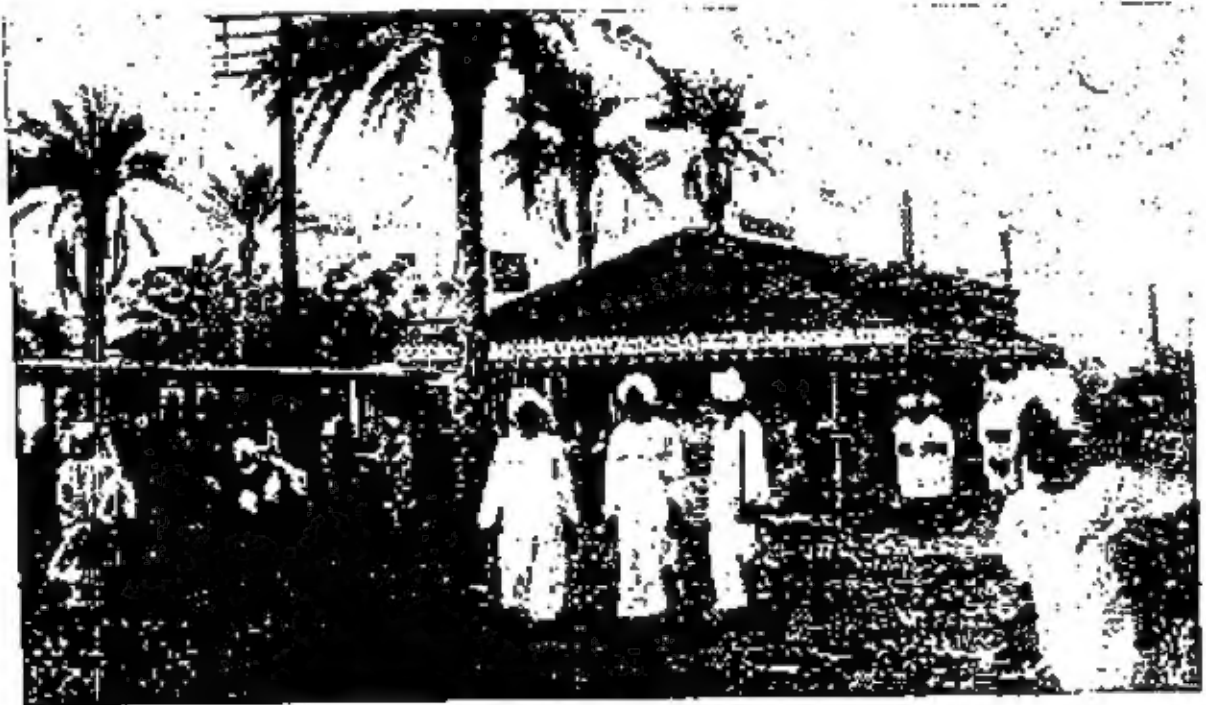
ومن الصف الاول يسكن رجل اسمه عمى جوهر وهو اصلا من الموردة وله ابن واحد واسمه حسن جوهر طالب بالمدرسة الحربية وعندما بلغت السابعة من عمرى تخرج حسن جوهر ضابطا برتبة ملازم ثانى (نجمه واحده) وأقيمت له عدة حفلات بموسيقى الجيتار واغانى ورقصات اهل الحى لمدة عشرة ايام ويقاصده من هناك فى الصف الثانى الخليفه محمد الحنفى شيخ الطريقة الاسماعيلية ومن بين المنشدين أبناءه واحفاده وجيرانه وكنت من ضمنهم وكان هذا الشيخ قد خصص جزءا من منزله خلوة لتعليم الاطفال القرآن الكريم ودرسنا فيها نحن جميعا ابتداء الحى قبل الذهاب الى الكتاب الحكومى. . . أو الابتدائية الحكومية الوحيدة فى الخرطوم تعادها مدرسة اخرى بالقرب منها ومن سينما كلزيوم اسمها المدرسة الانجيليه وهذه الاخيرة ذهبت اليها بعد ان لم اوفق فى اجتياز امتحان اللجنة ومكثت بها الى ان تخرجت منها من ثانية ابتدائى . .

وكانت فى الخرطوم آنذاك اربع خلاوى هى : خلوة الشيخ الكنزى وكانت تقع جنوب المدينة وكانت خلوة نموذجية عامرة بطلايبها. ثم خلوة الشيخ محمد بآبكر المقرئ المعروف وكان قد تبرع بمقرها الشيخ محمد عبد القادر تلب وتقع فى وسط المدينة فى المكان الذى تشغله الآن عمارة السيد عل ابراهيم مالك، ثم خلوة الشيخ عمر وتقع غرب الخرطوم بالقرب من عمارة بنك فيصل الاسلامى، ثم خلوة الشيخ حامد وهو مصرى الجنسية وكانت اقرب الى الكتاب منها الى الخلوة من حيث التنظيم

وتدريس الحساب واللغة العربية الى جانب تحفيظ القرآن الكريم . وكان لها نشيد خاص بها ألفه الشيخ حامد ومطلعه يقول :

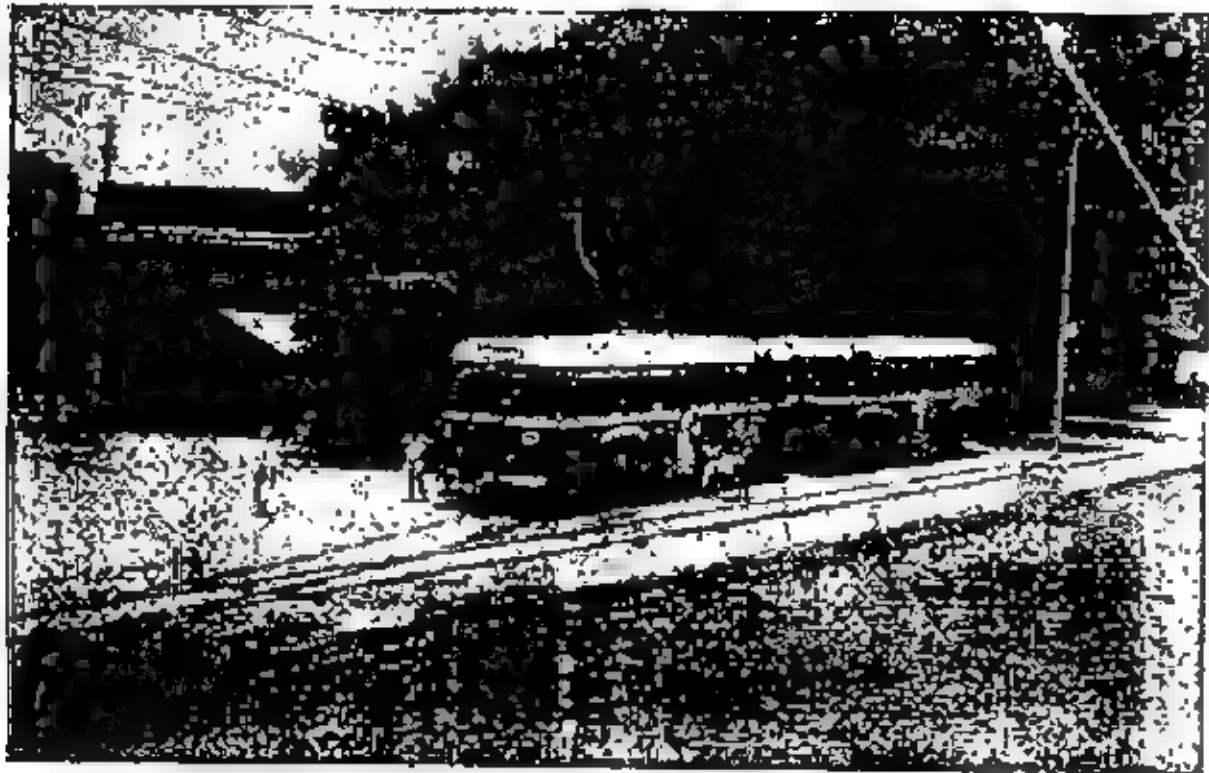
لمدرسة وحاذر النجاح ان يكون اسرع وبادر
حاضر الوقت حاذر

ومن أبرز معالم الخرطوم آنذاك ميدان المحطة الوسطى وكان بمثابة ملتقى لكل



ميدان المحطة الوسطى بالخرطوم

خطوط الترام ولهذا كان تجمع للطلبة الذين يستقلون الترام ذاهبين لكلية غردون التذكارية في أقصى شرق الخرطوم او للخرطوم بحرى او ام درمان كما كان هناك خط ترام يدور نصف دائرة حول الخرطوم ولذلك سمي «ترام الدوران» وكان أول وآخر وسيلة نقل جماعى تنقل الركاب من شرق المدينة الى غربها حتى يومنا هذا !.



الترام بالفخرطوم

وكان خط هذا الترام ينتهي امام مبنى الخمانية «الهيئة القضائية الآن» وكانت محطته قبل النهائية في مواجهة «الحلواني» وهو التعبير الشائع لاسمه الاصلى «مقهى وبار اللورد بايرون» وسأحدث عن هذا الحلواني باستفاضة في مجال آخر من هذه الذكريات.

ويخترق خط هذا الترام شارع السلطان «شارع السيد عبدالرحمن المهدي الآن» وكان هذا الشارع من اهم شوارع الخرطوم اذ يمر بمعظم منازل الأسر الخرطومية العريقة بدءا من منزل الحاج عبدالله شروني فأخاج عثمان النميري فاسرة عباس النعمة واسرة شاه على بكش الهندي السوداني فاسرة الحاج جعفر النميري واسرة المرحوم خضر حسن سعد واخوانه واسرة الحاج محمد حسن السواحلي واسرة على سلمان واسرة الحاج عباس على كمير واسرة عبدالله الزبير واسرة نجيب الاسيوطي واسرة عبدالقادر أحمد سعيد واسرة محمد عبدالقادر تلب واسرة حاج الخضر على كمير

واسرة فريد سيدهم واسرة آل دسوقي واسرة بابكر جعفر واسرة عبدالمجيد ادريس
واسرة ابراهيم غالى وكان منزل هذه الاسرة مشهورا بأنه يحتوى على معاصر للزيت
بطريقة الجمال البدائية ثم اسرة حسن عبدالله واسرة طنون واسرة مصطفى خليل
واسرة قسم الله سلمان وآل ابوقرجه فمزل الحاج ابراهيم الموشلى واسرة يسر يعقوب
ويضم منزلهم عائلات متعددة من بينها اسرة الشاعر المرحوم محمد علي عبدالله ثم
حوش اولاد الزبير باشا.

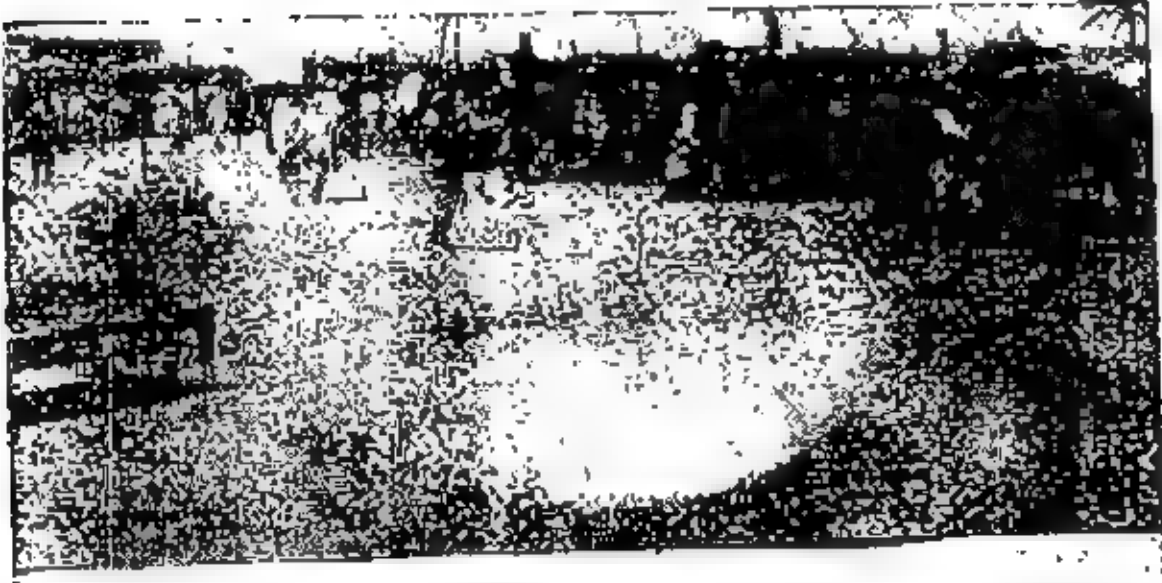
وكان في هذا الحى ثلاث مقاهى بلدية هى : مقهى ومطعم الشيخ حسن سعد
ومقهى الشيخ عثمان ابراهيم الزبيق ومقهى العيلفون . . . وكانت هذه المقاهى تدير
الحاكميات «الفونوغرافات» التى كانت تبث اغانى الرعيل الاول من الفنانين
السودانيين والتى كانت مسجلة على اسطوانات كما كانت تبث اغانى المطربين
المصريين كممنيرة المهدية وفتحية احمد وسيد درويش وغيرهم وكذلك فكاهات
الكوميديين المصريين.

واذكر انه كلما اكتمل لدينا - نحن معشر صبية الحى - ثمن كوب الشاي باللبن
هرعنا لاحتسائه فى «قهوة العيلفون» المجاورة وقد كان ثمن براد الشاي فى ذلك الحين
خمسة مليات واذكر فى شارع ترام الدوران وبالقرب من كلية الطب زكية بائعة السمك
المفلى والتى كان معظم سكان الحى يعتقدون عليها الامال لتناول افطارهم واذكر ايضا
السيد ركبى ابراهيم صاحب أول محل للسندوتشات. وفى نفس الشارع يقع منزل
أبناء فرج بك ابوزيد وهم سعيد وعبدالقادر وشقيقتهم الوحيدة والتى سأحدث عنها
فى مكان آخر من هذه المذكرات وبالقرب من مقهى الخلوانى «لوردبايرون» محل
اشتهر «بالسينغ» وسلطة الباذنجان بالروبو وكان المحل للعم احمد عبدالله الجزار
الملقب «بلالومة» وفى جولتنا هذه نتخطى شارع فكتوريا «شارع القصر الآن»
متجهين شرقا فنجد منزل وديع دغمان «السورى» وهذا لقبه وهو أول من احترف تربية
الخيول وهو أحد مؤسسى سباق الخيل فى الخرطوم وواحد منى . ونمضى فى تجوالنا
فنجد امام مستشفى الخرطوم «الاميرى» حيث يقع منزل البكباشى أحمد حسين
وبعده منزل الشيخ الامام رئيس مراسلات البريد والبرق . وكان للشيخ الامام هذا
ابن يدعى أحمد وهو شاب اتصف بالاناقة وحسن المظهر وكان أحمد أول موظف
سودانى بشركة الخطوط الجوية السودانية وإلى الجنوب ناحية السجانة القديمة يمر خط
ترام الدوران بحى «الحرس» الذى يضم الضباط والجنود من حرس الحاكم العام . ثم

اسطبلات الخيول وينتهي الخط عند المدرسة الاغريقية حيث يبدأ خط نRAM الخطوط
بحري والذي يمر امام منزل المغفور له السيد عبدالرحمن المهدي ويموت كبار الانجليز
وكلية غردون التذكارية متجها الى كبرى النيل الأزرق.

الباب الثاني

الخرطوم أيام زمان



سوق الخرطوم في سنة ١٨٩٩ م
أحد أهم المراكز القديمة في الخرطوم

سوق الخرطوم عام ١٨٩٩ م

حدود مدينة الخرطوم
كانت الخرطوم في ذلك الحين تحد شمالاً بالنيل الأزرق وشرقاً بكومبري الإنش
البريطاني الفاصل بين الخرطوم وبري وجنوباً باستحكامات غردون ومحطة السكة
حديد أما من ناحية الغرب فكانت تحدها حدائق «ركابي» وسواقي أبو حسيو.
وكان سوق المقرن القديم هو محطة معدية أمدرمان.
كانت هناك أربعة حيّشان كبيرة تجاور حي المراسلات وهي حوش الدكتور معلوف
وحوش العمايا وفندق اصطفايان الأرمني وكانت هذه الحيّشان مأوى للنازحين إلى

الخراطوم والقادمين اليها من الاقاليم المختلفة ، ويجانب هذه الحيشان منازل خاصة بالأجانب وهم خليط من جنسيات متعددة فيهم اليهود والأرمن والإغريق - والشوام والمصريون والهنود وكان هذا الكم الهائل من الأجانب يمتنون مهناً مختلفة .

يقع شمال الحيشان سوق الحدادين وهو سوق عامر تصنع فيه معدات الزراعة مثل الملوذ والطوريه والسكاكين وعجلات الكاري ومن أشهر الحدادين الشيخ الأمين شيخ الحدادين وهو رجل أتيق حسن المظهر يحافظ على نظافة هندامه حتى أثناء تأدية عمله . وكان إلى جوار سوق الحدادين قصاصو شعر الحميم وقد اشتهروا بذوقهم الرفيع وتفتنهم في رسم أشكال هندسية جميلة على ظهورها . ولا نحمد كثيراً لنجد سوق «التجارة» و«العياشة» وهو سوق عامر بكل أنواع الحبوب والثمار والتي تأتي إليه من بقاع السودان المختلفة من قرودخن وصمغ وذرة ومن أشهر تجار هذا السوق الشيخ الحاج الأمين هاساي والد الأستاذ المرحوم عبدالرحيم الأمين هاساي وكان بالقرب من متجره محل الحياكة البلدية وصاحب هذا المحل هو الشاعر الفقد أحد حسين العمري ومن الطبيعي أن يصبح محله منتدى للشعراء يرتاده شعراء الخقبة مثل ود الرضى وإبراهيم العبادي وغيرهما . .

كانت كل هذه الأسواق المتجاورة تلتف حول ميدان كبير واسع مسمى بميدان المولد وهو ميدان الأمم المتحدة الحالي وكانت تقام في هذا الميدان الاحتفالات بذكرى المولد النبوي الشريف وكانت الاحتفالات في الخراطوم ذات طعم خاص وعلى الرغم من وجود احتفالات زفة المولد في أمدرمان والخراطوم بحري إلا أن سكان المدينتين يحرصون على حضور ليالي المولد بالخراطوم لطابعها الخاص فقد كان التجار يجلبون الحلوى من الشقيقة مصر وأذكر تلك السيدة المصرية البدينة [أمونة الحلونجية] التي كانت تظهر أيام المولد وتبقى فترة طويلة بعد آخر ليلة من المولد تبيع الحلوى في ذلك المكان . كانت ليالي المولد من امتع ليالي الخراطوم .

وكانت متعة هذه الايام عامرة للصغار والكبار وكانت الاستعدادات له تبدأ بزفة رمضان ومولد الرسول صلى الله عليه وسلم تسبقها استعدادات من جميع افراد الشعب ويهتم بها الصبية والاطفال بصفة خاصة يخرجون في مواكب تتقدمها فرقة موسيقى البوليس وبعض الضباط وصف الجنود يتقدمهم فارس يمتطي صهوة جواده شاهراً سيفه ثم الطرق الصوفية بنواياها وأناشيدها ورتل من عرايات

الكارو ومحملة بالمحتفلين وأصحاب المهن المختلفة حيث يتبارون في المظاهرات فائزين
كلمة معروفة جداً بينهم وهي (العزلمين . . للحدادين)، (العزلمين . . للنجارين)
(العزلمين . . للجزارين) وهكذا بقية المهن وكانت الرقة تقام في كل مدينة من المدن
الثلاث يقابلها الناس بالتصفيق والنساء بالزغاريد تسير (الرقة) في أهم شوارع المدينة
ويشبه بها الطواف إلى ساحة المولد في المدن الثلاثة حيث ينتظرون زيارة الحاكم العام
ومعه العمدة يمثل الإدارة الأهلية لبدء زيارته بخيمة الحكومة لفترة بسيطة ثم يتجه إلى
خيمة السيد على الميرغني ثم خيمة السيد عبد الرحمن وهكذا ينصرف الحاكم وتستمر
آخر ليلة في المولد. وكان لكل من المطوق الصوفية سراقق وكانت تتنافس في تأميس
تلك السراقق وتجميلها ومن أشهرها سراقق الحكومة وعلى يمينها سراقق السيد على
الميرغني ويسارها سراقق السيد عبد الرحمن المهدي وبالقرب من هذه السراقق سراقق
ساحات الاحتفالات في العاصمة المثلثة.

كانت الخرطوم مقسمة في ذلك الحين لأربعة أقسام هي الأوسط ويشرف عليه
العمدة محمد كرم الله، والشرقي تحت إشراف الشيخ حسن سليمان والغربي للشيخ
أحمد نصر ويشرف على القسم الشمالي الشيخ عثمان منصور. في تجوالنا داخل سوق
الخرطوم هناك أماكن لم نقف عليها مثل زنك اللحم والذي كان بمكانه الحالي وقد
دخلت عليه بعض الزيارات مؤخراً. كان شيخ الجزارين عام ١٩٢٠ يدعى الشيخ
سعيد الفوراوي خلفه على الشيخة الشيخ علي سلمان ثم الشيخ أحمد حسن يسر
والشيخ عثمان أحمد حسن ياسين، «نجل الأخير» هو شيخ الجزارين الحالي وهو خريج
نهائي التعليم الثانوي. وأثر أن يواصل مهنة أسلافه عزوفاً عن الوظيفة الحكومية. وكان
عزلاء الرجال مثلاً للأخلاق الفاضلة الكريمة يرتدون «فوط» بيضاء ناصعة البياض

تعكس نقاء سريرتهم فتحسهم وكأنهم ملائكة الرحمة . وكانت هناك رقابة على اللحوم واهتمام بالكشف الصحي عليها ويتم دمجها مرتين مرة في السلخانة «المنذحة» وأخرى «بالزنك» وهي لا تحتاج لكل ذلك في تلك الأيام .

كان هؤلاء الجزائين في آخر النهار يعودون الى منازلهم على ظهور الحمير التي كانت وسيلة النقل الوحيدة وهي بمثابة المرسيدس الآن . كانوا يعودون لمنازلهم ليتهنئوا ياغفر الثياب مثل الفرجية والقفطان والبالطو والعممة المخلفة والطاقيّة الحمراء [شغل] بات الحى باليد] يتهنئون ليلتقون في المساء بالمقاهي .

وبجوار زنك اللحمة سوق الخضار وكان مكوناً من دكاكين [حوانيت] صغيرة مصممة في شكل مثلثات زادت من روعتها . وكانت الخضار والفاكهة تحفظ بالماء . واتصف الخضرجية بصفات اهل ذلك الزمان فتحس فيهم روح الدعابة يلقونك بالسمة والترحاب واذكر منهم الشيخ السواحلي ومأمون المعلا ومحمد جعفر وشيخ الخضرجية الشيخ نمر .

على بعد أمتار من ذلك السوق نجد مطعم الفوال وهو مكان مطعم الفوال الخالي وصاحبه محمد علي الفوال .

كان المطعم يقدم في الثلاثة وجبات صنفين فقط هما الفول والطعمية ويأتى الزبائن لهذا المطعم من اماكن بعيدة .

وإذا اتجهنا شمالاً نجد الحلوانى (اللورد بايرون) وهو ملك ليونانى وكان مكان البنك التجارى الكائن بشارع الجمهورية حالياً، يفتح الحلوانى مبكراً ليقدم في الصباح شاي باللبن والزلاية بعمل التحل لموظفى المصارف وكانا مصرفين هما البنك الاهلى المصرى وكان مكان وزارة الثقافة والاعلام الآن وبنك باركليز [بنك الخرطوم الآن] ويقع امام وزارة الثقافة والاعلام وكان الحلوانى يقدم ايضاً [وجبة الافطار] «ستونشات» لموظفى الحقانية [القضائية] والمالية والبوستة والتلغراف وكل المؤسسات المجاورة له والتي لم يطرأ عليها جديد الى الآن . وكان فرق كل ذلك مكاناً للقاء السامرة والتجار يقضون فيه جل وقتهم يعقدون فيه الصفقات وكل رجال الجيش والشرطة والموظفين في عطلاتهم السنوية يجتمعون في الحلوانى . وكانت الحركة تقل فيه عند الظهيرة الى ما بعد غياب الشمس حيث يستأنف نشاطه مساءً حتى الساعة الحادية عشر مساءً .

يتألف الحلوانى من ثلاث صالونات امامها فرنديات دائرية ومساحته تبلغ حوالى

٣٠٠ متر والداخل اليه من الباب الرئيسى المقابل للغرفة التجارية الموجودة الآن في نفس مكانها يقابل الكاشير [عامل الحزينة] وغالباً ما يقوم بالمحاسبة اليونانى صاحب الحلوانى نفسه أو أحد انجاله وعلى يسار [الكاونتر] بار صغير وعلى اليمين صالون مؤسس بافخر الأثاثات من الكراسى وموائد منسقة بشكل جميل وباهتمام بالغ وتلاحظ العناية الفائقة في نظافة اوانى الطعام والمشروبات وكانت كلها من الزجاج والصينى . وكانت تقدم مع المشروبات الروحية اصناف من الجبن والقول السودانى والزيتون والبيض بما ياهز تسعة اصناف مختلفة، تقدم للزبون مع طلبات المشروبات . وكان للحلوانى طبق مميز من الفخار يقدم مع قينة الخمر والمثير في هذا الطبق انه يحتفظ بحرارة الطعام لمدة طويلة وخاصة طبق الباسطومة بالبيض كما يقدم الحلوانى وجبات طعام اغريقيه الى جانب ما يقدمه من الوجبات الوطنية المعروفة . في جانب آخر من الحلوانى طاولة لللياردو ومكان للعب الطاولة والدومينو [الضمنة] والكشتينة . ومن المشروبات الغازية يقدم الحلوانى الليمونادة اليبضاء والجنجير والجسجبر وتقدم هذه المشروبات للاخوة المسيحيين لان هذه المشروبات كانت مسموحة على المسلمين السودانيين اضافة الى ذلك يقدم الباسطة المشهورة باسمه والحلويات .

ترك الحلوانى ونخرج الى شاطئ النيل الأزرق وبطوله تسعة منازل فقط هي
سراى المحاكم والسكرتير القضائى ثم السكرتير المالى والسكرتير الادارى ومهندس
الرى المصرى ومدير المصلحة الطبية والقائد العام ثم سراى السيد على المبرغنى وأخيرا
الفندق الكبير والى الغرب منه حديقة الحيوان وجنينة أولاد ركابى للخضر والفاكهة
وهى مكان قاعة الصداقة الآن وعلى مقربة من النيل الابيض حتى المقرن ومخازن



مركب قوتى المعديّة.

السكر والعلال وعلى شاطئ النيل المقابل نجد (الاسكلة) وهى ميناء البواخر النيلية
المتجهة للجنوب والشمال وهى مكان كبرى النيل الابيض قبل تشييده. وكان الناس
ينتقلون بين الخرطوم وامدرمان بياخرة نيلية [وابور البحر] والمراكب الشراعية وقد
سمى حتى الموردة بهذا الاسم لورود الاخشاب والبضائع اليه من الجنوب والشمال.
واستمتع القارىء عذراً فى ان اصف كل أوجه الحياة فى المدينة وان ادلف به لجانب

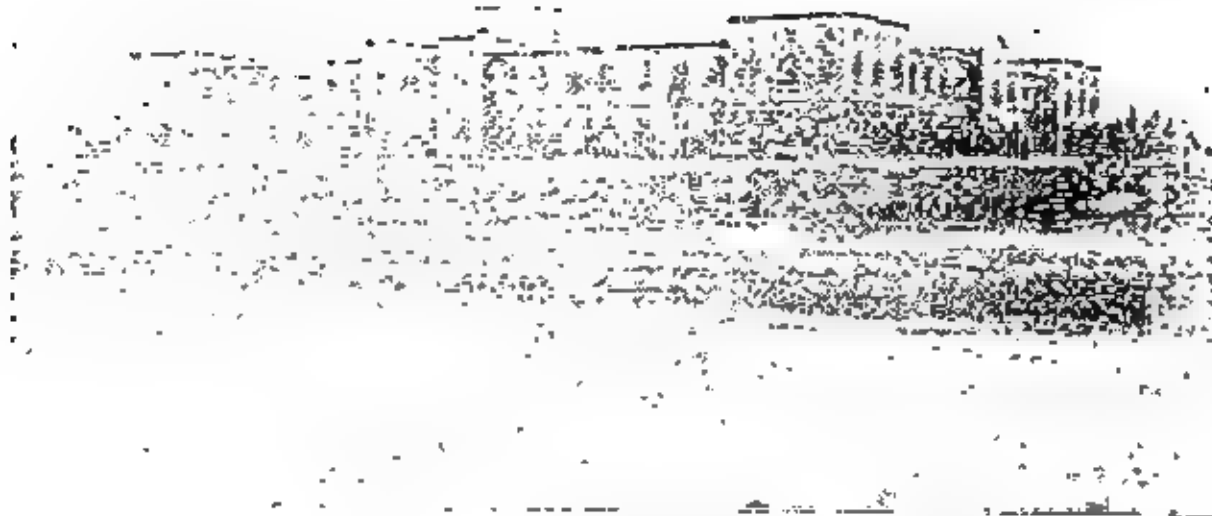
آخر يمثل جزءاً من التراث الشعبي الا وهو دنيا الانادى [الانداية] وهي اماكن بيع
«المريسة» اذ كان العامة يلجأون الى الانادى ولم يكن للانادى مكان محدد وانما كانت
توسط الاحياء وتنتشر بينها وكانت تميز بالبيارق ولكل انداية شيخه [صاحبها]
وشيخة الانداية هي التي تحدد لون البيرق على مزاجها والانداية منقولة من منببها
محالات (البب) بانجلترا اى الاندية الليلية التي تنتشر في كل حي هناك.

أحياناً يحل بالانداية احد الوجهاء فيتولى اصدقائه اكرامه وذلك بانزال البيرق
ويعنى ذلك ان الانداية قد دفع سعر ما فيها من مريسة. ودائماً يعنى البيرق ان العمل
بالانداية مستمر وانزاله يعنى نفاد المعروض من المشروبات اى [المريسة].

أما الموظفون ورجال القوات النظامية والاطباء وهم قلة فيلتقون في الاندية
السودانية مثل نادى الخريجين وغيره وأندية الجاليات مثل النادى السورى والمصرى
والنادى اللبنانى كان حيثث على راس اطباء مستشفيات العاصمة المثلكة اطباء
سوريون ومصريون.

اما في الصنفين من المنازل كان يسكن فيها قريب الدكتور على خير من الوكيل
الاول لكلية الطب السودانية ويسكن بجانبه اشقاء والدتى عبدالله سليمان
وعيد القادر سليمان وكانوا يعملون بالقضائية حجاب محاكم والجزء الاخير يسكن فيه
رجل عجوز في سن المعاش واظنه كان من ضمن الفراشين والمراسلات وكان لا يعمل
شئ له ابن اسمه عثمان احمد فقير وبنيت اسمها فاطمة فقير وكان يطالب بارض
الحقانية او الارض التي تقوم عليها القضائية الان ملكا لايه وكانت هذه الحارة محاطة
بسوق الحمش والبلح ويسمون بالعيشة او التاره وهناك الترام الكهربائى وفي نفس
المكان سوق الحدادين والحلاقين للصنفين البنى ادمين والدواب كانت حلاقة الحمير
جميلة جدا لان حلاقى الحمير كانوا يتغنون في رسم الزخارف بالمقص الكبير.

في بداية تجربتى كهاوى لعزف العود والغناء ذاع صيتى في حينئذ ثم طلبت
الابتدائى وكلية فردون التذكارية وطلبة كلية كنشتر الطبية. حيث احتدمت المنافسة
بين طلبة كلية غرودون وكلية كنشتر في الاستثاري وايضا روائهم وهم د. ابراهيم
المغربى، ناظر جراحه تحت كبير الجراحين د. مين ود. عبدالحليم محمد ناظر الطب
تحت د. همنهمى. كبير الاطباء ومدير المستشفى. ود. على بدرى حكيم باشى
المستشفى والشيخ الطيب مدير معمل المستشفى.



كلية غردون التذكارية



طلبة كلية غردون

فكر د. ابراهيم المغربي في فكرة جهنمية لأكون بجوارهم بأن يقدم لي عملاً يناسب مؤهلاتي فتم استدعائي لمكتب ياش كاتب المعمل حسين فخرى حيث تحدث معي باللغة العربية والانجليزية فإذا به امتحان خفيف جداً فاجأني بعده بانني قد قبلت كطالب بمعهد التحليل الطبية (استاك) بمبلغ ١٥٠ قرش حيث ارسلت فور تخرجي كمساعد معمل تحت الشيخ الطيب.

وكانت فكره عظيمه جداً من د. المغربي حيث تحصلت بها على وظيفة حكومية قل أن يحصل عليها طالب بهذه السهولة فشكرته جداً حينها ولا زلت ارفع قبعتي تحية واجلالاً لشخصه العظيم. بعد ٤٠ عام،

والمنزل مكون من غرفتين وحمام وحوش صغير. وبعد ان استقرت وعرفت المرحوم محمد ابوراس باشكاتب المستشفى الذى سهرنا فى منزله وطربنا الى الساعات الاولى من صباح اليوم الثانى . وذهبت فى الصباح الباكر الى المستشفى لكى استلم العمل وهرمت على كل الاماكن بالمستشفى للتعرف على الاخوة والزملاء وبعد عشرة ايام وصل الدكتور محمود على حدى ليسلم الدكتور عبدالحليم وينتهى التسليم والتسلم فى ظرف سبع ايام ولكن هذه المرة استمر خمسة عشر يوما والسبب وجودى رعوذى وصوتى واحتفالا بالسلف والخلف . وقضيت اجمل وامتع ايام حياتى الصيبانية سواء ان كان فى اثناء العمل او اوقات الفراغ . وانتهت مدة المأمورية وودعت بمثل ما استقبلت به وزودونى باشياء كثيرة الى مدينة سنجه وكانت لا تبعد كثيرا عن مدينة سنار وحصل نفس الاستقبال وكانت مدينة سنجه أيضا بالنسبة لى كاختها مدينة سنار . وتعرفت على عوائل كثيرة اذكر منها أسرة الخویرص (على وسليمان وعثمان) ورجعت الخرطوم وانا فى منتهى السعادة ووجدت الخرطوم حصل بها بعض التغيير حيث ازدهر الفن وليالى الافراح والليالى الملاح . وانتظرتنى مفاجأة وهى انى التقيت بفئة جميلة جدا ومن اجمل بنات جيلها وعرفت انها من بلد أبى رفاعه (قرية ابوشام) وحيثها وحبتنى كثيرا وعرفت كل ظروفها واثناء هذه اللقاءات ازداد حبى لها وملك على كل مشاعرى وفى غمرة هذه السعادة افاجأ بمدير المعمل شخصيا بدعوى مكتبه ويأمرنى بان اذهب لمدينة حلفا التوفيقية لاعمل هناك فى مأمورية مع الدكتور محمد أحمد على الله يرحمه وهو من نفس المنطقه وكانت مهمتنا جميعا بالمستشفى هى محاربة مرض الحمى الراجعة والتايفود الوافدين الينا من مصر وكانت الحمى فى مصر بشكل وبائى وكانت الالام ايام حرب وكانت كل الجيوش العابرة فى طريقها الى شمال افريقيا عبر الصحراء تمر بوادى حلفا وكنا نعمل لها اللازم من حيث الفحوصات والتطعيم والحرب على اشدها وفجأة سمعنا ان تونس قد تحررت حيث كانت قد سقطت فى أيدي المحور من قبل . وطبعاً كنا نحن مستعمرين والبلد مليانه انجليز ومصريين وفرح الانجليز واحتفلت كل بلاد السودان بهذا اليوم وحلفا بالذات لان كان فيها مدير المديرية الادارى وقائد الحاميه العسكرية ومدير المصلحة الطبيه د . بريدى ومدير السكه الحديد مستر جكوبس ومدير مكتب السكه حديد الاخ عوض على وهو موجود الان ويسكن بحرى . واصر مستر جكوبس على عمل حفل كبير تشترك فيه كل فئات الحكومه والشعب وكانت كل حلقا تعرف ان هناك فى المستشفى

شاب يعمل فحیص بالعمل وهو فتان یغنى ويعزف على العود ومن أوائل الذین تغنوا بالاذاعة وحتى كبسار الانجلیز يعرفون هذا. وفکر المستر (جاكوبس) ان بدعونی لاغنى فی الحفل الکبیر المقام على ظهر باخرة نیلیة وعمل تلفون سریع للدکتور محمد أحمد على لا بلاغی هذا الامر بصفتة مديری ورئیسى وفرحت جدا بعد ان علمت من الدکتور هذا الخبر واتى ساغنى أولا فی حفل کبیر جدا وللمناسبة هامة وتاريخیه وقلت للدکتور محمد أحمد على ارجو ان لا ترفض هذا الطلب فقال لی الدکتور (ارفض ازاى دا انا حاعمل لیك هیصه کبیره فی هذه الحکایه لانه تعرف یا حسن أفندی واحد زیك مطرب وعازف فی الاذاعة، لو فی لندن مثلاً فی یوم زى الیوم دا یدفعوا لیه مائة جنیه. تعرف مائة جنیه یعنى ایه؟ یعنى انت حتکون من أحد اغنیاء حلقا ما بین یوم وليلة) وقمت وقعدت وشربت معی لحمه شلیده جدا وتحركت بمجهودات الدکتور واتصل تلفونیا بمذیر السکه حدید المستر جکوبس واتفق معه انه سینقل الفنان الی مکان الحفل متبرعاً بعربته، من المستشفى الی مکان الحفل لكن المستر جاکوبس قال للدکتور محمد أحمد على انهم سینقلون الفنان بترولی بعد مد خط فرعى من خط السکه الحدید الرئیسى المار من امام المستشفى ومنمحه هدیة رفیعة للمستوى وفعلاً عمل الخط.

وفى الیوم المحدد وصلت عربیة الترولی المعروفة بالسکه حدید وبها مذیر مکتب السکه حدید السودانى (عوض على) واستقبلنى انا وعودى وركبت ركبته ملوکیه وانا فی قمة السعادة ووصلت مکان الحفل واستقبلت بالزغارید والتصفیق من کل الجموع المحتشدة على شاطئ الیل وأحيیت الحفل بصورة رائعة وودعت بمثل ما استقبلت والعرب فی الموضوع ان المذیر «طنش» من حکایة الهدیة الرفیعة واكتفى بعملیة نقلی بالترولی ودى كانت حکایة کبیره والغریب حقا ان هذا الخط الحدیدى الفرعى کان ممتداً الی داخل المستشفى الی ان غمرته میاه السد العالی!.

العودة الی الخرطوم

بعد ان عدت من تلك الماموریات الثلاثة الی الخرطوم حیثا كانت اذاعة اندرمان فی بداية تأسیسها وتبث ارساها یوم الخمیس من کل اسبوع لمدة ربع ساعة تبدأ فی

السادسة مساءً لتنتهي في السادسة والرابع وكانت برامجها خمسة دقائق قرآن كريم وخمسة أو عشرة دقائق اخبار ثم اغنية وطنية من الحاج محمد احمد سرور.

صاحب فكرة الاذاعة واول من قال هنا امدرمان السيد حسين طه زكى اتصل بى وفاوضنى للغناء بالاذاعة على ان يزيد من زمن البث ليصبح نصف الساعة ومرتين في الاسبوع. لكن تقاليد وعادات اسرتى وتمسكها كانت عائقاً في طريقى الى الاذاعة. فقد كانت نظرة المجتمع للمغنيين نظرة ظالمة وكانوا يسمونهم «صعاليك» وذلك لان مغنى تلك الايام يعيشون على المناسبات ويقضون مع العريس اربعين يوماً كاملة هي فترة الزواج وما يسبقه من «خطوبة» (ودق الشلوفة) وقولة خير «ودق الريحة» وقيدومة العريس «ومشاط العروس» «وقطع الرحط» و«الحنة» و«الدلكة» و«الدخلة» و«فك الحزام» و«الاسبوع» و«الخمستاشر» و«الأربعين» وكل هذه العادات يشارك فيها المطربون الذين سبقوا المطربون قبلنا وقد تركت تلك المشاركة انطباعاً سيئاً لدى المجتمع.

ولكننى تغلبت على هذه المشكلة واقتنعت اسرتى بأننى لا يمكن ان اصبح مثل اولئك «الصعاليك» فانا موظف اعمل بالحكومة ولا وقت لدى وعمل يحتاج الى صفاء الذهن ومهمتى ان اشخص نوع المرض ليحدد الطبيب العلاج واى اخفاق قد يؤدي بحياة انسان وهذا مالا ارضاه ولا اقبله.

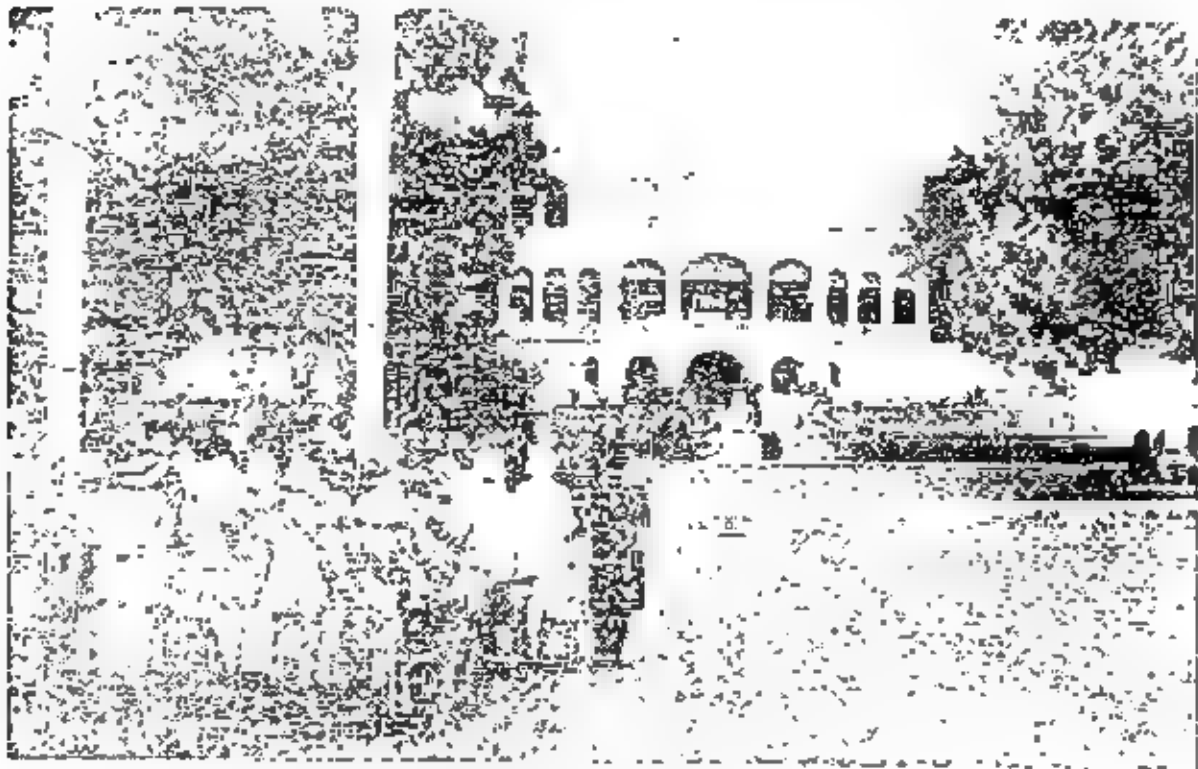
في ناحية ثانية نشب نزاع حاد ترعمه دكتور هورجان مدير المعمل من ناحية وفي الناحية الاخرى مستر آربر مدير مكتب الاتصال العام وكان الاول يريدنى ان استمر في عملى بالمعمل بينما يرى الاخير ان اكون مطرباً متفرغاً وحسمت الامر من جانبنى وقررت مواصلة عملى كغنى بالمستشفى وادى ذلك لمكاتبات بين المعمل والمخابرات «مكتب الاتصال العام» انتهت بكلمات مدير المخابرات لمدير المعمل يذكره بأن حرب الامبراطورية يجب ان نحترم وجاء في حديثه «ان هذا الشاب حينها يغنى في الاذاعة سيكون مثل السكر بعد تناول الدواء» كانت هذه كلمات مدير المخابرات والذي ظل يصر على وجودى في الاذاعة. . . وانتهت المشكلة بأن اغنى في الاذاعة.

تهيب الموقف عندما علمت انى ساغنى في الاذاعة لوحدي وما كانت الاذاعة حينها الا غرفة ضيقة لا تزيد مساحتها عن ٦ امتار مربعة تجاورها غرفة مشابهة لها تفصل بينهما نافذة زجاجية وكانت الاولى استديو والثانية محطة ارسال كل ذلك في بومسة امدرمان القديمة. تهينى من الغناء في تلك الحجرة خلقي أزمة جديدة ففكر

الاستاذ حسين طه زكي في مخرج لي من هذه الازمة وقال لي نجرب هذه اللعبة وان لم تعجبك سنحاول طريقة اخرى واتفقنا على اطلاقها في وقت آخر.

كان الرجل ذكيا جدا ففكر في القيام برحلة سريعة في امدرمان بمنطقة الدباغة على شاطئ النيل بالقرب من منزل احد اصدقائه وذهبت للرحلة وكأها رحلة عادية فلما ذهبت الى مكانها اذكر انه كان يحمل قائمة باسماء الاخوة المشتركين في الرحلة ومن ضمنهم فوزي حسون والشاب رمزي كيلاني وشقيقه كيلاني عبد القادر والشاب القاضي المرحوم عبد الرحيم ادريس.

حدث ذلك في يوم جمعة واستمتعنا بقضاء وقت جميل اكلنا وشربنا وطربنا وبعد ان استبد بنا الطرب والشمس قدنو للاقول توقف الغناء وبدأت مناقشة كنت محورها وكانت عن غنائي بالاذاعة واخيرا قبلت الغناء في الاذاعة لان اليوم يوم جمعة ولعلمي



القصر يوم رفع العلم

ان الاذاعة لا تبث ارسالها فوافق حسين وقال لي «ولا يهمك سنرى الامر بعد نصف ساعة» فركبوا العرببة الملاكى الوحيدة وهى ملك الاخ رمزي كبلانى وانطلقوا بها للخرطوم وقابلوا المستر اربير مدير المحابرث الذى كان على علم تام بما يجرى فى ذلك اليوم منذ بدايته وقالوا له ان حسن عطية قبل ان يغنى بالاذاعة وهو معنا الآن وقد نفذنا كل ما يرضيه وهو جاهز فهل تأذن لنا بفتح الاذاعة ليغنى حفلاً كاملاً من ثلاث اغنيات . فوافق المدير على الفور وامر بفتح الاذاعة وذهبت مع تلك المجموعة باكملها وكان فوزى حسون، ورمزي كبلانى من الاصوات الجميلة التى صحبتنى بالغناء (كورس).

كانت محطة الاستقبال واحدة ولا توجد غيرها فى السودان وهى الميدان الفسيح الكائن امام البوستان وهى عبارة عن صندوق مغلق على اربعة ارجل خشبية طويلة وكان المستمعون يلتفون حولها بالميدان لسماع اخبار الحرب والحفل الغنائى دخلت تلك الحجرة الضيقة التى وصفتها وغنيت ثلاث اغنيات هى بالترتيب انا سهران يا ليل . . ثم خدارى واخيراً هات ليها صباح . . وكانت تنتظرني مفاجأة ما خطرت لي على بال ولم احسب لها حساب عند خروجي من الغرفة الاذاعية فى نهاية الحفل الى الشارع فقد هجمت على اعداد هائلة من الجماهير وكنت ارتدى يومها قميصاً ابيض و[شورت] كاكي وشراب بلون الشورت وحذاء [باتا] كاكي ايضاً وكانت هذه اللبسة تسمى ماتشنيق، حملتني تلك الجماهير على الاعناق وبدأ بعضهم يمزق قميصي ويحملونه مناديل للذكرى وتدخل الاساذ ادوارد بك عطية نائب مدير الامن وهو لبنانى الجنسية وكان قد حضر لمراقبة الموقف فتدخل واستدعى بوليس نقطة المحط الوسطى واخذوني من اولئك المعجبين الذين كان همهم الاحتفاظ بمناديل من ملابس الفنان الشاب الذى نعى لأول مرة من اذاعة امدرمان ولأول مرة يغنى بالعود وكان شيئاً جديداً بالنسبة لهم وقد لطف الله بالعود لان واحداً من ضباط الشرطة خطفه وادخله عربة الشرطة وبعد جهد جهيد تفرقت تلك الجموع والتفتت باصحابي وكان بصفى الاعلى عازياً تماماً وخس حظي كان لي صديق طيب بمستشفى امدرمان ويسكن بالقرب منها فذهبتا له جميعاً لنروى له ما حدث واستعرت منه قميصاً . وكان صديقي هو الدكتور المرحوم عثمان رحى ايقاً جداً وقد غزت منه بقميص (جميعص) يليق بمطهرى كتمان وسهرنا معه تلك الليلة سهرة ممتعة تمتعت بعد ان عرفنا الات التسجيل لو انها كانت معروفة فى ذلك الزمن لتقلها لابناء هذا الجيل

بعد أربعين عاماً أو أكثر.

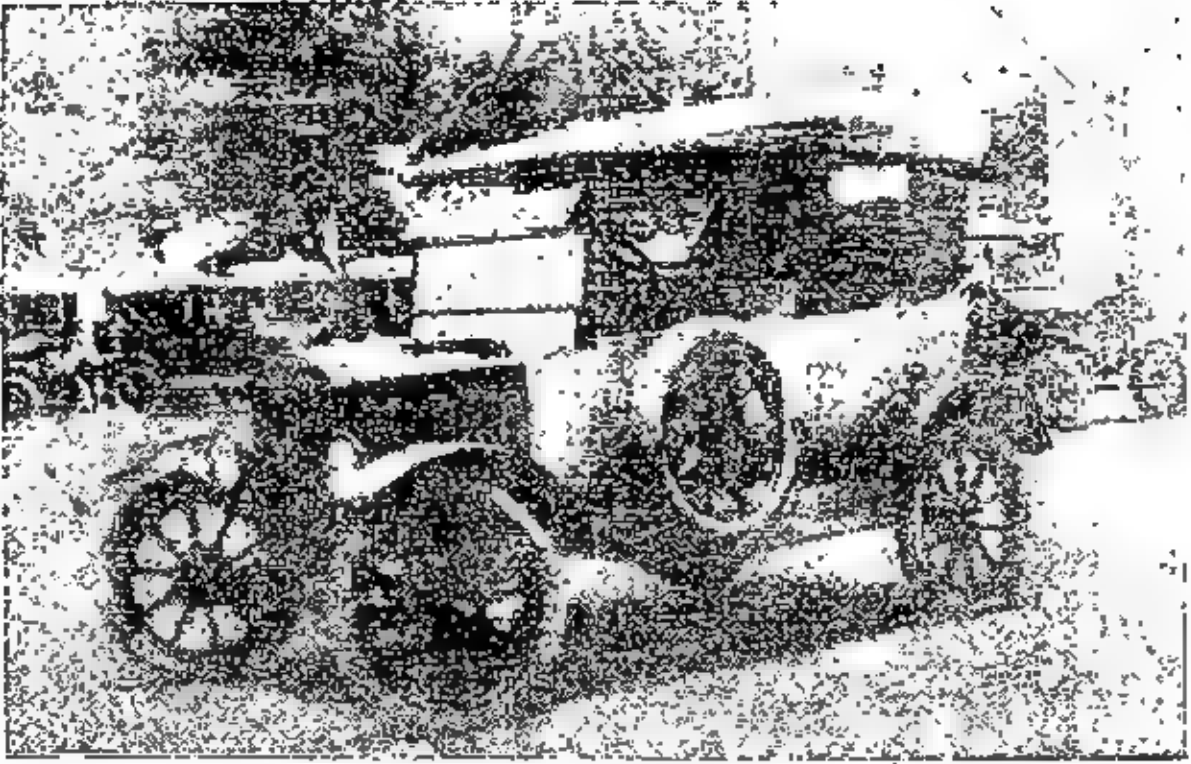
في صبيحة اليوم التالي لذلك الحفل ظهر عدد لا حدى الجرائد ويحمل على صدره تهنئة للأذاعة على اختيارها للمطرب الجديد صاحب الصوت الدافء واشادت الصحيفة بصوتى ووصفته بلغة رقيقة وقبل ان تكتمل فرحتى بتلك الاشادة حتى نشرت الصحيفة نفسها وبعد يومين فقط مقالاً لشخصية كبيرة تصف غنائى بانه من الغناء المفسد للأخلاق وانه نوع من انواع (التمسم) الرقيق فاثارنى ذلك وحملت الصحيفة وذهبت من توى لمدير الاذاعة وقلت له منفعلاً هل قرأت هذا المقال؟ فأجاب بالايجاب . فقلت له ما رايتك فيه وقبل ان يجيب على سؤالى اردفت انا لن اغنى بعد اليوم فى الاذاعة . وكان قرارى هذا لاننى لم اسمع نقداً قبله وكان اولي نقد فى حياتى حولنى من غمرة الفرح الذى كنت اعيشه الى غضب شديد من ذلك النقد الموجه لى .

وبعدو تام تحدث الى مدير الاذاعة وقال لى ان الرجل صاحب المقال لا يملك ان يوقف الاذاعة او المطرب لان هذا العمل لرفعة راية الامبراطورية ابان الحرب . فارتحت وهذا بالى وواصلت مشوارى بالاذاعة .

ولكن قبل أن يتسنى لى ذلك وفى صباح احد الايام استدعانى مدير المعمل وطلب منى ان أسافر للدويم بالنيل الابيض وذلك لظهور ثلاثة أوبئة هى الملاريا والحمى المراجعة «التايڤويد» والالتهاب السحائى فقد ظهرت هذه الاوبئة فى الدويم وما جاورها من قرى قلى وشبشة وكان ذلك إبّان الحرب العالمية الثانية .

كان قرار سفرى الى الدويم قائماً ففكرت فى تنفيذ رغبة رؤسائى فى عملى الدائم فطلبت اذنًا من الاذاعة لمدة عشرين يوماً وبعدها سواصل مشوارى معهم فوافقوا ورتبت نفسى وشددت الرحال الى مامورية جليدة بالدويم ووسيلة السفر فى ذلك الوقت هى وابور البحر (الباخرة النيلية) ومحطة قيامها بالمقرن مكان فندق الهيلتون الآن .

وكان فى ذلك المكان حى المقرن وسوقه المنتظم واذكر ان هناك عبادة بالحقى وكان الترام يشق الحى فى طريقه الى ام درمان وذلك بعد تشييد كبرى النيل الابيض . اعود مرة اخرى الى قصة سفرى الى الدويم فى ذلك اليوم حزمت حقائى وركبت عربية اجرة «لاكسى» حوالى الخامسة مساء وكانت الباخرة تبدأ رحلتها فى الرابعة



الفاكسي قديم

صباحاً بفتح الكبرى بعد توقف الحركة والوابور أو الباخرة كانت من ثلاث درجات
اولى وثانية والدك «ظهر السفينة» .

وفي محطة الباخرة فوجئت بعدد كبير من اصدقائي واحبائي المعجبين جاؤا لوداعى
وكانت لحظات رهيبة لذكر من حاضريها حسن سليمان الفنان الملقب بالهاوى واحمد
امام دون جوان الشلة الشاب الانيق الوسيم وحسن احمد حسين شقيق الدكتور
حسين طبيب العيون المعروف وابن البكباشى احمد حسين صاحب السطوة والمظمة
فهو من كبار الضباط العظام وربيته بكباشى [مقدم] واذكر ايضا الصديق الاغريقى
انستاسى ابن الست كاترينا المشهورة بتجارها النسائية ولها شارع الآن باسمها
باخرطوم (٣) وقد سمى باسمها تسمية شعبية وكان انستاسى صاحب صوت عظيم
وكان يغنى بالاغريقى فيجيد، وبالمصرى فيبدع وبالسودانى فيتجلى فقد كان سودانيا
بالميلاد واغريقيا بالاصل .



السفر بالنيل قديماً

ومن بين المودعين كان هناك احمد عبد المجيد شجر الخيري (رحمه الله) وهو حفيد العمدة محمد علي كرم الله عمدة الخرطوم واحمد كان موظف بالمخازن والمهمات وكان «فتوة الشلة».

ومن المودعين ايضا طالب الطب محمود حسين محمود والذي اصبح قائدا للسلاح الطبي برتبة اميرلاي. وعفى الدين قلب الموظف بالبوستة والتغراف والذي صار اول مدون لاول برلمان سوداني وظل في هذه الوظيفة الى ان قام مجلس الشعب وترك الخدمة بعد ان حاز على نوط الجدارة للخدمة الممتازة. وصالح ابراهيم العبد وكان محاسبا وصار اول مدير لبنك للمدريمان الوطني بعد ان رجع من هجرته لاثيوبيا وكان اول سوداني هاجر خارج البلاد طلباً للخبرة والعلم بعمل البنوك هناك

. . والاخوة ابناء العم عبد الرحمن الصائغ وابن اخيه العظيم عبد الرحمن وله نادرة لا بد
لى ان ارويها فهي عزيزة على نفسى عزة صاحبها الى . ففى حفل وداعى والذى كان
قبل يومين لم يكن لديه ما يقدمه وما كان يملك شيئا ذا بال غير سنه الذهبية فما تردد
فى مشاركتى بما يملك حيث ذهب الى العيادة وخلع سنه وباعها فى سوق الصياغ
بسبعين قرشا وقام بدفع مصاريف الحفل كله . اعود مرة اخرى للباخرة وأصفها
كانت الباخرة جميلة ونظيفة جدا وبجارتها كانوا يلبسون لونا واحدا هو لون البحارة
اللون الازرق اما الكبائن (الغرف) كانت تحتوى على سرير حديد من سبيته ومرتبة
من القطن الصاقى ومختين من ريش النعام ومروحة وتريزه وكرسى داخل الغرفة
تستعمل كسفره وتريزه مكتب وحوض لغسيل الوجه وجرس لنداء القراش اما
الحمامات فلها جزء معين من البابور . ثم سطح الوابور ومقدمة الوابور مفروشه
بكراسى تسمى بالمك جيرز ويجمعون فيها كل ركاب الدرجة الاولى والثانية عند
الوجبات يذهبون الى صالة السفرة العامة للدرجة الاولى والثانية عند الاكل للثلاثة
وجبات وبالليل يسهرون فى سطح الوابور على هذه الكراسى الوثيرة ما طاب لهم من
السهر حيث يلعبون الطاولة والضممه والكثبينه ويملولون كل انواع الترفيه .

جاء الى المحطة فى ذلك اليوم عدد كبير المودعين والمودعات من اسرتى وأهلى
وأصدقائى من جيرانتا ومعارفنا ومن بين اللائى حضرن لحظات الوداع تلك الفتاة
التي وصفتها بأنها قد اثرت فى قصة حياتى وكانت تقف وسط المودعات وتلوح لى من
على البعد .

لم تتحرك الباخرة فى مواعيلها وتأخرت حتى الساعة الرابعة صباح اليوم التالى
انتظارا لفتح «الكبرى» . كان تأثير تلك اللحظات بالغاً على نفسى فدخلت غرفتى
وانكفأت على السرير باكيا حتى دخلت فى اغماء افقت منها عند فتح «الكبرى» لمروء
الباخرة . كان الوقت حينذاك تباشير الصباح مازالت فى خدرها . . وماء النيل من
حولنا والضفتان يلغهما سندس اخضر ونسمات الصبح العليقة تبعث فى النفس امل
العودة واللقاء ودعت الخرطوم وكل شوق اليها فهي مازالت امامى ولا استطيع
الوصول اليها ثم فتح «الكبرى» ومرت الباخرة بسلام وكم هو جميل منظر فتح الكبرى
والذى كنت اراه لأول مرة ثم زجر صوت مكنتات الباخرة مدويا وبدأنا رحلتنا الى
الدويم وبعد قليل بدأت الخرطوم تغيب عن انظارنا رويدا رويدا حتى اندست وسط
ذلك الثوب الاخضر .



كبرى النيل الأبيض عند فتحة

بعد طلوع الشمس خرج الركاب الى سطح الباخرة وفوجئت ان من بينهم وفي الغرفة المجاورة لي عريس وعروس وكان هذا العريس المهندس حسن عتياني وهو من مواطني الخرطوم بحري جلسنا جميعا على ظهر الباخرة وتناولنا وجبة الافطار وفي زمن وجيز كنا جميعا كأُسرة واحدة ننسى وتنجاذب اطراف الحديث وما ان جن الليل وضرب قبابه من حولنا حتى طلب مني العروسان لاغنى لهم فغنيت وسهرنا وشاركنا السهر ركاب الباخرة.

وبعد ان عدت الى غرفتي لم يعرف النوم الى جفني سبيل واستمرت الرحلة، كانت تقدم لنا وجبات في الباخرة ولكن عندما تتوقف الباخرة في اى محطة أو قرية كنا نتسابق لشراء الدجاج والبيض واللين والخضار الطازج والفواكه من الباعة على الشاطئ واستمر الحال الى ان وصلنا خزان جبل اولياء وكان منظراً جميلاً ولا يستطيع كيف اوصف الباخرة في ذلك الزمان فكانت غرفها جميلة منسقة ذات فرش ابيض ناصع ومخدات من ريش النعام وخدمة ممتازة من المسئولين من الوابور لم يوجد لها مثل الان كلما وقفت الباخرة في محطة وثلاثة ايام بلياليها وصلنا اخيراً الى الدويم وكانت

وحدث كل أبناء العاصمة واصدقائي في انتظار الباخرة تنادوا واتوا الى المحطة لاستقبالى وكان على رأسهم الاخ يسن حاج الحصر على كمبر خربيع كلية مشتهر الزراعة في مصر واسر سر تجار الخرطوم (وسر التجار) كلمة تطلق على اكبر تاجر سمعة وتجارة وصدق وامانة. كان يسن جارى وابن حى والدكتور عثمان ابو عكر طبيب المستشفى. ومحمد طاهر مفتش الصحة. ومصطفى ابو زيدة ناظر المستشفى. والمرحوم حسن كافي. باشمهندس الرى. . . والمرحوم المهندس ابو العرائم عباس ابو الريش. . . والمرحوم محمد عثمان يسن نائب المأمور. . . والمرحوم الباقر السيد محمد ضابط الشرطة. والشاب الطريف المهذب الفنان اللطيف الحلى الانصارى.

كان مقررا لى ان اسكن بالمستشفى ولكن كل هؤلاء الاخوة اصرروا لى اقيم معهم واخيرا استقر رأيى على اسكن مع المهندس ابو العرائم ابو الريش وذلك لانه ابن حى وكان فى سنى تقريبا.

سمعت فى اول ليلة عند دخولى الدويم بينما نحن جلوس نغنى ونمرح ويستبد بنا الطرب سمعت نائب المأمور الشاب الباقر السيد يترنم بكلمات اغنية لىالى لىالى . . . العوده تانى وهذه هى قصة الاغنية المشهورة ايام ماكنت لاهى ما يعرف الهموم . . . لانى ماعرفت السعادة لى قدوم ويقول فى الاغنية البتول ياناس حليله . . . ويكى النع.

سألت عن البتول ومن تكون ولماذا يغنى الباقر ويكى فحكوا لى قصة حبه وقالوا انه قصى مأموريته فى الدويم ووصفوا لى تلك الليالى التى قضاهها بالدويم الجميلة. فسألت عن البتول مرة اخرى فقالوا انها فتاة يانعة فائقة الجمال غضة الشباب قل ان يحزد بها الزمان يمثليها وسألت اين هى الان؟ هل تزوجت . . . ام رحلت؟ وعلمت انها بالدويم ولكن صاحبنا منقول الى الخرطوم ويغنى لآخر ايامه فى المدينه.

وقد اصاب حديثهم ووصفهم للبتول مكانا فى نفسى فبدأت أسال عن مكان البتول هذه وكانت دهشتى عظيمة حينما قالوا لى انها تعمل معى وسألتهم معى انا؟ فاجابوا بالإيجاب وضاف احداهم انها تعمل بالمستشفى بعنبر الحريم اطربنى ذلك الحديث فبت فى تشوق لرؤية تلك الشخصية وطلبت اليه فى تلك الجلسة ان يكتب لى القصيدة كاملة لاغنيتهها له فطار فرحا وامسك بقلم وورقة وكتب القصيدة باصابع

مرتجفة .

وضعت الاغنية امامى على فانوس الجاز الكبير وكان لهذا الفانوس قصة طريقة كان شريط الفانوس غير مستقر يعلو وينخفض فتارة نرى وتارة نعيش فى الظلام لم تكن الكهرباء قد دخلت الدويم . على ذلك الحال غنيت الاغنية كما كان يؤديها وكان هو يعتمد على غطاء زجاجات اللعوناة فى ايقاعه فيضربه على جانبي المقعد فيصدر ايقاعا جميلا .

قضينا تلك الليلة مع طيف البتول واغنية البتول فزادت ليلتنا بهجة حتى لم يرى جفنى المنام فى تلك الليلة واستيقظت مبكرا على غير عادتي ومضيت أنتظر الساعة السادسة بتحرق وشوق لكي ارتدى ملابسى واكون فى المستشفى فى الساعة سبعة ميعاد العمل وصلت الى مكتبي وذهبت تورا الى مكاتب رؤسائى وزملائى للتحية ثم ذهبت الى عنبر الحريم وسألت اول مريضة فى العنبر عن البتول فأشارت لى على مكانها بجانب مريضة اخرى وكانت تقوم بتغيير فرش المريضة ذهبت تجاهها ووقفت امامها عحييا فردت التحية فعرفتها بنفسى . بطريقتها النسائية ردت على قائلة اهو ده انت فاجيت بالايجاب ولا اذكر تلك الاجابة غير اننى مازلت اذكر ما اعترانى فى تلك اللحظة فقد وقفت واجما للحظة حسبتها دهرا وسمعت بعدها كلمة «شرفت» ان شاء الله تقضى معانا ايام حلوة .

ظهرت ثانى يوم بنادى الموظفين وكنت موضع حفاوة من الجميع . . الكل يريد ان يتحدثنى والكل يريدنى ان اجلس الى جواره . . وانهاأت على الطلبات والدعوات . . . وماذا لا تنزل على الطلبات وانا احمل سر الحياة العود والصوت الجميل وأول مرة يصل الى الدويم فنان يحمل العود .

بدأت عملى بالمستشفى بعد الاجراءات الروتينية والتسليم والتسلم وبعد أن باشرت عملى لايام اقاموا لى حفلاً بالنادى غنيت فيها فطارت شهرتى بعدها الى القرى والمدن المجاورة واهتزت اسلاك التلفزيونات تحمل ذلك النبأ الى كوستى وغيرها . . وكما يحدث فى كل الاقاليم نشب النزاع بين المركز والمستشفى فاحتكرنى الاطباء وأثار ذلك البقية ولكنى استطعت ان اتغلب على ما تسبب لى من مشاكل واحتوتونها بحجة ان موظفى المراكز هم اصدقائى وابناء بلدى ولكن كانت كفة المستشفى هى لارجح دائما .

ولم انج من كل المشاكل فقد كان مكتبي الى جانب المرضى يعج بالعجبين الذين

يأتون لرؤيتي والتعرف على . . اخترت ثلثي من الدكتور عثمان ابوعكر طبيب
المستشفى ودلاخ يسن حاج الخضرم وعلى طاهر مفتش الصحة والجبل الانصاري وكنا
نسهر سويًا يومًا ولا فرق بين رئيس ومرووس فقد كان المفتش الطبي يرأسنا جميعًا
ومستول عن مستشفيات المديرية وكان الدكتور الفاضل البشري ونائبه حكيمباشي
المستشفى الدكتور حبيب تراهما في بعض المناسبات.

سافر صاحبنا الباقر وهو يغني البتول يا ناس حليلة الى لحظة قيامه متجهًا الى
الخرطوم وكنا في وداعة بالمحطة فكان يلوح لنا يمينيله الابيض ونلوح له الى اختفت
البخرة عن عيوننا في الافق البعيد عدنا بعدها وعادت الحياة كما كانت وترتبت حياتي
الجديدة وزاد فيها حب جديد لم ينسني ذلك الحب الذي لقيته في الخرطوم ولكنه اخذ
حيزًا في حياتي وكان لكل واحد في الشلة حب في حياته بعيدا عنه الا انا فقد فزت
بقرب عشيقتي وكان هذا سر سعادتي .

كان الاخ يسس قد قضى فترة كبيرة في الدويم قبل مجيئي وبعد ان جئت ارتاح
بوجودي فلما قرب موعد انتهاء مامورتي بدأ يحس بالضيق ويحكى لي عن سجنه الذي
سيكون فيه بعد رحيلي وكان يغني كل صباح ونحن في طريقنا للعمل اغنيه من تأليفه
ويقول فيها «الدويم انا ما لقيت لي منك مرقه . . لا بي حرقه لا بي غرقه» .

وكان في هذا الجويلعاني آلام الغربة وما يلاقيه بعد سفري ولكنه فوجيء بتلغراف
يخطره بنقله لرائقو بجنوب السودان فجئ جنونه وسافر الى الخرطوم بعد ان قدم
استقالته . وقبل سفره اتفقنا ان نلتقي في مقهى الحلواني بالخرطوم واخبرته بانني قد
ملت العمل في الحكومة وسأقدم استقالتي قبل لقائه .

قضيت بقيت ايامي بالدويم مع بقية الاخوة ومع البتول فسارت الحياة على منوالها
الى ان انقضت ايامي بالدويم وعندما هممت بالعودة قررت الرجوع عن طريق كوستي
لزيرة صديقي الطبيب البيطري ابراهيم خليل التي كانت كوستي اولى حياته العملية
والذي اخبرته هاتفيا بمواعيد زيارتي وكانت فرصة لي لاشاهد مدينة كوستي لأول مرة
وكان السفر اليها باللوارى وتستغرق الرحلة حوالي السبعة ساعات . حجزت في
العربة اللوري ولا اذكر الآن اسم صاحبها ولكن كانت البتول على علم بمواعيد سفر
العربة .

اخذت مكاني في العربة مبكرا ودارت في مخيلتي اشياء كثيرة اولها شريط الذكريات
المعطرة وليالي الدويم وقضية سفري دون اذن وحبى الجديد وفي غمرة هذا الخضم من

الذكريات حانت منى انثفاته فاذا بالبتول تقف امامى وتقول لى «جئت لوداعك مش
لحد هنا لا سأقدمك الى كوستى . ادينى عقلك ايها الفلارى الكريم انها لحظة لا تنسى
وبعد برهة جمعت فيها ما تبقى لى من قوتى التى هدها هول المفاجأة وسألته بكلمة
كانت تستخدمها فى مخاطبتى وهى كلمة «يا أنت» سألتها يتكلمى جد يا انت؟ فردت
[أنى يتكلم جد يا أنت] ولعلها كانت حينما تنادىنى بهذه الكلمة ما كانت تعلم ان هذا
التعبير الجميل قيس من مطلع قصيدة الشاعر الفحل محمد سعيد العباسى «رحمه
الله» والتى يقول فيها:
كانت تنادى وتحكى البدر مبتسما

يا انت ياذا وعمدا لا تسمينى
جن جنونى حينما ركبت بجانبى وانقضت الساعات السبعة [زمن الرحلة] وكانها
دقائق سبع لم ارى خلالها غير وجه البتول وحينما لاحت مدينة كوستى لناظرى غميت
لوانها تباعدت .

وصلنا لكوستى وكان صديقى الدكتور فى انتظارى ومعة عدد من اصدقائه واول
كلمة بعد السلام قال لى بعد ان التحى بى جانباً من اين هذه القنبلة؟ فقلت له هذه
ضيفة من الخرطوم انت فى اجازة لزيارة اهلها بكوستى ركبت معنا بالصدفة ، ودعتها
وداعا حارا وذهبت الى اهلها . وذهبت أنا مع بقية الاخوة الى منزل الدكتور وقضينا
ليلة مع أولئك النظر انتهت بطلوع الشمس .

فى صباح اليوم التالى شددت الرحال الى الخرطوم ووصلتها وذهبت الى منزلى
أغالب النوم فيغلبنى تارة وبعد ان نبذلت التحايا مع أهل بيتى ذهبت طوالى غرفتى
واستغرقت فى نوم عميق انسانى مشقة السفر وعناء الايام الفائتة ، وصحوت فى اليوم
التالى ولا يشغلنى شاغل غير رؤية فتاة أحلامى فذهبت اليها بمنزل اهلها بالخرطوم
وقضيت عندها النهار بطوله وجزء من الليل امتع نفسى بالحديث اليها وابلى شوقى
برؤيتها وانقضى ذلك اليوم وكأنه برهة عدت بعدها الى منزلى وتببات لاستقبال يوم
جديد قررت ان يكون يوما لتنفيذ ما قورته .

صحوت مبكراً فى ذلك اليوم وارتديت ملابسى الرسمية وذهبت الى المستشفى
وهناك دخلت على صديقى الباشكاتب المرحوم حسين فخري ووجدت عنده صديقى
المرحوم محبوب عبد القادر المنشاوى وهو صديق دراسة وكان يعمل كاتباً بالمعمل
القيت عليهم التحية فقابلونى بالترحاب وبادرنى الاخ حسين سائلاً برضك مصر على

السفر؟ فأجبت قائلاً؟ لا يا فندم انا دلوقت جاي مصر على تقديم استقالتي واردف يسألني باند هاش «ماذا تقول»؟ فرديت بأدب والحسرة تملاً قلبي كما سمعت. فقاطعتني سائلاً سمعت ايه؟؟ واستقاله ايه؟؟ ايه الحصل في آخر رحله؟ قلت حصل كل خير وجميل وقد قضيت عشرين يوماً وانا احلم حلماً جميلاً تمنيت لو انني لم اصحو منه ولما حدث وصحوت قررت الا أسافر مرة اخرى لكي لا أعيش حياتي كلها احلام. ويكفي اني قضيت خمسة أشهر كاد قلبي ان يتحطم فيها.

دار بيننا جدل طويل ولم ينته الى شيء ذهبت بعده لمقابلة المدير الانجليزي مستر هورقن ودخلت عليه وحكيت له موضوعي وهو متكىء على كرسيه الوثير الفاخر وبجرد ان انتهيت حتى تحرك بكرسيه الى الوراء وقال لي: حسن أفندي انت ما تعرف نحن في حرب وممنوع الاستقالات وده في القانون ده اسمه تمرد عن العمل وعقوبته ستة شهور سجن. قلت له لا يهمني ذلك وسأقضى ستة شهور بالسجن قال انت مجنون يازول.

ردت عليه: انا عاقل وكويس بس فقدت الرغبة في العمل وبجرد سماعه لجملي توقف الخواجة عن المناقشة مخطورة لما قلت فكوي فقدت الرغبة يعني ذلك كثيراً بالنسبة لنوع العمل الذي أوديه وخاصة ان عملي يتعلق بحياة الناس وعلى الرغم من اني قلت تلك الكلمة لمجرد التخلص من الحكومة.

وتريت المدير قليلاً ثم قال: [خذ اجازة يا حسن أفندي لمدة اسبوع وتعال تشوف وعدت بعد ان انقضى الاسبوع وانا أكثر اصراراً على الاستقالة فما كان منه الا ان قبل استقالتي ونظراً الى ما كنت اتمتع به من حب بين اسرة المعمل كزميل وفنان فقد تجمع زملائي كلهم ساعة خروجي من المعمل وحانت مني التهنئة فوجدت كل اسرة المعمل والمدير بينهم يظفرون لي في حسرة لوحيت لهم بيدي مودعاً وخرجت من عتبة الباب لادخل حياة جديدة «خالي شغل» كما كانت تسمى في ذلك الوقت [الطيران] فكانت هذه الكلمة تطلق على الرجل خالي العمل ويسمى طائر. دخلت دنيا الطرب وحياة الليل اسهر الليل وانام النهار كنت اذهب في أول المساء الى الاناعة وبعدها الى المسرح او بيوت الافراح وكنت اتقاضى عشرة جنيهات مقابل الحفل أفسمها كالآتي، أربعة جنيهات لأعضاء الفرقة الموسيقية وجنيه للمواصلات وخمسة جنيهات من نصيبي واتقاضى خمسين قرشاً نظير الحفل الاذاعي والذي يبت ثلاث مرات في الاسبوع. تحدثت في بداية مذكراتي عن (ثلاثي) والتي كانت من ابناء الحى واطلقنا عليها

اسم (نادى البرش) وكان مقر النادى امام منزل عضو الشلة أحمد امام الذى كان يقوم بفرش (البرش) لقلة الكراسى فى ذلك الوقت وكنا نجتمع من السادسة مساءً ونتمسك حتى العاشرة حيث تهدأ الحركة وتسكن المدينة وتقل الحانات والمقاهى والمحلات التجارية وتخلو الشوارع الا من رجال الامن وعسكر الدورية وبوليس السوداى وكان من يقع فى ايديهم بعد الحادية عشر يساقى للحراسة بالمديرية ولن تشفع له غير هويته فإن ثبتت لهم اخلو سبيله وان لم تثبت هويته ادخلوه السجن الى اليوم التالى.

أعضاء نادى البرش كانوا جميعهم انداداً دون الثامنة عشر وكان فى مقدمتهم المرحوم ابراهيم المفتى المحامى والذى أصبح وزيراً فيما بعد وطالب الطب محمود حسين الذى صار فيما بعد قائداً للسلح الطبقى والشاب الانيق الدكتور الصيدلى المرحوم على خيرى والذى كان يعمل مع الدكتور معلوف الذى ورد ذكره فى غير هذا المكان والاخ المرحوم صالح ابراهيم العبد والذى صار اول مدير سيدانى لبنك امدرمان وهو من أوائل عازفى العود والمرحوم موسى عبدالكريم الطالب بكلية الزراعة ومدير مصلحة الزراعة لاحقاً، والاخ المرحوم محمد يوسف على اول ضابط مطافىء، والذى تدرج الى ان وصل الى اعلى الرتب وذهب للمعاش. والفنان الهاوى حسن سليمان شقيق الاستاذ عبدالقادر سليمان استاذى ومعلمى العزف على العود، والشاب انستاسى ابن ست كاترينا كما اسلفت الاشارة اليه وطالب كلية غردون حسن احمد حسين ابن البكباشى احمد حسن الموظف بالجيش الانجليزى والصادق التجانى الذى صار من كبار التجار. والفاضل الشفيق، وقاسم محمد الامين صاراً من كبار الاداريين، والاخ محى الدين تلب الذى أصبح كبير مدونى مجالس الشعب والاخ عبدالرحمن محجوب «الصائغ» «رحمه الله» واخيراً احمد عبدالله عطا الذى بلغ اعلى الرتب فى الطيران المدنى.

كنا نجتمع نحتسى الليمون والشاي «المنع» وكانت هذه المشروبات تضىء جواً خاصاً على جلساتنا وتجذب أعضاء النادى فيحرسون على الحضور اليومى وللصدفة كانت أصوات جميع أعضاء النادى فى غاية الجمال وكانوا يضبطون الايقاع على برنيطة «قبة» من الفلين. ان لنا اصدقاء لم يرد ذكرهم فهم يأتون الى النادى حسب ظرفهم منهم عسكرى (الكديت) الدكتور النور عبدالمجيد الذى صار كبير اخصائى امراض القلب والصدر بمستشفى الشعب وشقيقه الدكتور احمد عبدالمجيد الذى صار كبير اخصائى طب وجراحة الاستان بمستشفى الخرطوم والاخ عبدالرحمن صفيرون التاجر

أول مدير لمحلات المعروضات المصرية والاخ عبد الماجد عوض الكريم من كبار
الاداريين في السودان كانت شلة الانس هذه تجتمع وتنفض لتجتمع في يوم جديد الى
ان فرقت بيننا الظروف وما انقطع حبل الود بيننا الى الآن.

الباب الرابع

الحرب العالمية

ثم قامت الحرب العالمية الثانية وتم حفر الخنادق في المدن الثلاثة وتطوع الشباب وانخرطوا في جيش المتطوعين واذكر منهم المرحوم حمزة موسى والاخ المرحوم مصطفى خليل وموسى حسين وحملوا السلاح «والكلمة» ولأول مرة وصلت طائرات الابطاليين وقصفت الخرطوم وام درمان وسببت قلقاً شديداً وهلع بين المواطنين وظهرت اغاني الحرب مثل:

الله لي الليمون سقايته عشية
طيارة جات عصية تضرب الخرطوم
ضربت حمار كلثوم ست اللين

والمقصود بضرب الطائرة للحمار انها «اي الطائرة» لم تصب اعدائها ودخلت البلد في حالة حرب فقفلت المدارس وبدأ صرف المؤن بالبطاقات وارتفعت الاسعار وظهر اثرىاء الحرب واغاني الحرب وبنات الحرب. وتصدى الجيش السوداني للذود عن الحدود جنباً الى جنب مع جيش المستعمر الانجليزى ورابطت القوات في كسلا والقضارف وبورتسودان ونخشم القرية والقاش على ان يكونا على حدود اسمره وسافرت فرق اخرى لشمال افريقيا وكانت كل هذه البلاد خاضعة للاستعمار الانجليزى عدا شمال افريقيا وسممنا لأول مرة صوت مستر تشرشل رئيس حكومة بريطانيا العظمى من المذياع ينادى المستعمرات البريطانية ويستنقرها للمشاركة في الحرب الى جانبهم لينالوا الاستقلال اذا تم لهم النصر فكان ذلك حافزاً دفع بابناء السودان للتطوع وسافرت قوات دفاع السودان، وظهرت الاغاني تمجد جيش السودان وشبابه وتتمنى لهم النصر والعودة سالمين فظهرت اغنية «جاهل صغير وحمامه ودوه نخشم القرية يا الله عودة سلامة

واغنية يحو عايددين بالملرع والمسكيم . . وكان ضباطنا في ذلك الوقت الشبان احمد محمد باشا وابراهيم عبود واحمد عبدالله حامد واللواء عروة واللواء البحاري وحسن بشير واللواء طلعت فريد واللواء رضا فريد واللواء احمد عبد الوهاب واللواء الخواص واللواء المقبول وعبدالرحيم شنان واللواء محي الدين احمد عبدالله واليوزباشي حمزة بشير والعميد علي صالح سوار الذهب وحمزة بشير طمبل وعبدالرازق خير السيد ومحمد يوسف علي والعميد عبدالحميد خير السيد وعبد الرحمن حمدان واللواء الزين حسن الطيب الذي سأحدث عنه في مكان آخر من هذه المذكرات واللواء احمد الشريف الحبيب والعميد ابوبكر فريد والاصدقاء يحيى حسين وحمزة حسين ، رحم الله من مات منهم وامد في عمر من بقي .

فعندما علمت زوجتي ببناء مستر تشرشل للمستعمرات البريطانية فقد سألتني لماذا لا انا ؟ و اردفت لقد سمعت ان لكل جيش من جيوش المحور فرقة موسيقية لترفيه الجنود فلماذا لا تشكلوا فرقة موسيقية لجنودنا البواسل ؟ . وقعت جملتها على فاحوت لي بفكرة عظيمة قمت في التوالاشرع في تنفيذها ذهبت لالاخ حسين طه زكي لما له من مكانة في الاوساط الرسمية كرجل اعلامي واذاعي وطلبته ان يتوسط لي لاعمل في وظيفتي القديمة «فحيص» بالسلاح الطبي وقبل ان اكمل حديثي قاطعني

فقال : «اتعرف كلمة التي ترفه على جنود المحور قلت لا قال : كلمة أ. ن. س. ١ مختصرة من اربعة كلمات معناها فرق الترقية على الجنود في الميدان . بدءاً بكسلا وخشم القرية . كدت ان اظهر من الفرح وسألته (متى يكون ذلك) ؟ فرد على الآن عدد من الفنانين منهم سرور واحمد المصطفى ومحمد احمد داكو والسر عبدالله ميقومون بهذه الرحلات وستكون انت من ضمنهم وسيسافر معك ابراهيم الكاشف ومحمد احمد داكو الى كسلا وخشم القرية ، وسرور واحمد المصطفى والسر عبدالله الى طرابلس على ان تتبادلوا المواقع حسب ظروف المناطق العسكرية .

وكان ان بدانا رحلتنا الى شرق السودان وكانت رحلة الحرب دائرة وذهبنا الى كل المواقع المذكورة . استغرقت الرحلة عدة رحلات جلنا خلالها كل ميادين القتال ترفه عن جنودنا البواسل ونخفف عنهم آلام الغربة وكانت رحلة محفوفة بالمخاطر فالحرب مستمرة جثوتها والموت اقرب اليها من جبل الزويد ويكفي خطأ صغير يؤدي بحياة

الواحد منا.

كانت رحلتنا الأولى والتي ضمت ابراهيم الكاشف وداكروانا الى شرق السودان عن طريق السكة حديد بالقطار الملون بلون صحراوي لتصليل الاعداء سافرنا الى كسلا والقضارف وتنقلنا بين معسكرات الجيش في اسمره وقضينا اياماً لازلت أذكرها ما دمنا نعيش فوق ظهر البسيطة. كانت اياماً حلوة برغم قساوتها. كانت الفائرات الايطالية تعبر العاصمة وتصل الى امدرمان وتعود فوق رؤسنا الى قواعدها، انقضت تلك الايام في شرقنا الحبيب وعدنا الى الخرطوم لتبدأ رحلة جديدة طويلة سافر فيها الى شمال افريقيا ويصحبني الاخ الاستاذ أحمد المصطفى امد الله في عمره.

فتحركنا من الخرطوم الى القاهرة وعند وصولنا الى القاهرة ارتدينا ملابس الجيش الثامن وكانت عبارة عن بدلة عسكرية من انصوف الخالص وذلك لطروق البرد في تلك المناطق أى مناطق تواجد الجيش الثامن فشتاء ليبيا شتاء قارس وقاتل.

وصلنا الى مصر وقابلنا الضابط المسئول وكان الملازم أول الزين حسن الطيب فقابلنا مرحباً وأخذنا مباشرة لمعسكر التحضير بيني يوسف بالهرم ويبعد المعسكر بحوالى ثلاث كيلومترات نهاية خط ترام الهرم. كان الظلام قد عم المكان وبين حقول الذرة الشامية العربية التي اقلتنا وطلام دامس يلف المكان تقطعه احياناً مصابيح العربات.

وصلنا المعسكر وبعد سهرة صغيرة يهيس الضباط خلدنا بعدها للنوم لنستقبل اليوم الثاني في ملابسنا العسكرية التي صرفت لنا وكان منظرنا بالبدة العسكرية جميل جداً ومضحك اختلنا فرحاً بهذا الرداء الحديد والذي مرتديه لأول مرة وهو زى الميدان أو لبس خمسة (كما يسميه العسكريون) كان مرافقنا في الرحلة هو الملازم أول الزين حسن وقد مرت بنا حوادث ونوادير سوف اذكرها في جانب آخر من هذا الكتاب.

صرفوا لنا مبلغ من المال بالعملة المصرية لشترى حاجياتنا امبتعداداً للرحلة ولتودع بها حياة المدينة. وعلى الرغم من خطورة الرحلة فقد كنا فرحين وكأننا لا نحس بذلك الخطر المحلق بنا كنا فرحين بهذه الرحلة التي تتيح لنا التعرف على بلاد جديدة واناس لم نراهم من قبل والأت الحروب التي لم نشاهدها وقد كان رايها هناك اهوال الحرب من دبابات وعربات مصفحة وطائرات وكلها عظيمة ومشوهة رغم حداثتها وشاهدنا صفائح الوقود الفارغة متناثرة على مد البصر ولو فكر شخص في جمعها لاصبح مليونيراً

في زمان كانت فيه الصفيحة الفارغة لا تساوى أكثر من قرشين .
قبل ان اسرد عليكم رحلة الذهاب أود ان اتوقف قليلا لاحكى بعض مما حدث
بالقاهرة فقد قضينا بها اياماً حلوة مع الطلبة السودانيين وهم احمد سليمان طالب
القانون وعلى محمد ابراهيم طالب القانون ايضاً وطالب الطب عز الدين على هاجر
ومحمد امين حسين [رحمه الله] وكان الاخير محامياً وجدنا في تلك الايام يترافع في
قضية مصرع الفنانة اسمهان . والشاعر الضابط المرحوم عبد المنعم عبد الحى وهيب
حسن حامد والمرحوم عقيل احمد عقيل الطالبين بكلية الحقوق والدكتور أبو حسن أبو
وطالب الطب محمد حامد صالح المك والمرحوم عبد الماجد ابو حسو الطالب بكلية
الحقوق وبعض الاحوة السودانيين العاملين بمصر وهم كثر وأصدقائنا الشباب
بالاذاعة المصرية (ركن السودان) وكانوا أول من اختيروا للعمل بها هم المرحوم
الدكتور محمد المعتصم والشاب فؤاد عمر والسيد ثريا جودت والشاب عاصم دنانة
ومامون النجار والمرحوم عبدالرحمن صالح ومحمد الامين الاسمر وهم عاملون بالاذاعة
الى الآن . اذاعة وادى النيل الحالية يتبوأون فيها اعلى المراتب .

انقضت الفترة المحددة للاقامة بالقاهرة وحانت ساعة الرحيل الى ارض المعركة
فارتدينا الزي العسكري وركبنا القطار من محطة مصر الى مدينة العلمين حيث نزلنا
متراحين في صفوف وتم تطعيمنا ضد بعض الامراض وقد عانينا من مضاعفات
التطعيم ولم نذق طعماً للنوم ليومين ماعدا احمد المصطفى الذى تهرب من التطعيم .
بدأنا عملنا من أول معسكر ومقع بمدينة (برقة) وهى مدينة وديعة جميلة بناها
الطيان كمصيف لهم تطل على البحر المتوسط واسمها الاصل (درنة) وكانت هذه
المدينة على شكل قلل أهلة ممتلئة بالضجيج الطليانى ولكن خروجهم منها لفها بنوع
من الهدوء الغريب فاصبحت المدينة مهجورة بسبب الخرب الا من بعض الرحل
الليبيين نزلنا من القطار في تلك المدينة فقد كانت اخر محطة للقطار في الاتجاه الغربى
واستبدلناه بالسيارات التى حملتنا الى داخل المدينة التى يلفها صمت رهيب وظلام
دامس تتخلله انوار تشع من أماكن متفرقة الى ان دخلنا الى المعسكر ، وبعد السلام
والتحايا أقمنا الحفل وكان بمثابة وداع للجند المقيمين بالمدينة لانهم كانوا في طريق
العودة وكان القطار السى اقلنا الى المدينة سيحملهم في رحلة الاياب الى مصر
فالسودان .

في صبيحة اليوم التالى قمنا نودع الفرقة المسافرة وصادفنا شاب سودانى تعرفنا عليه

ويعرفنا انه مستول عن الزراعة في المنطقة كان هذا الشاب هو (حريز) من اهالي بري المحس . اكملنا يومنا ذلك وهو يوم راحتنا مع الاخ حريز الذي دعا اعيان المدينة من العرب الليبيين وقضينا سهرة ممتعة جداً .

في اليوم الثالث واصلنا رحلتنا بالسيارات لنمر على كل الوحدات وكان الشارع المسفلت واحد يمر بها جميعاً وقبل ان نتحرك تلقى الاخ الزين حسن الضابط المرافق برقية لنا تأمره بان لا يحد عن الطريق المحدود مهما كانت الظروف . لحظورة الطريق ومزارع الالغام فأثار هذا النبا فزعنا وتأكلنا اننا قد تورطنا ونحن امام تجربة قاسية . تحركت السيارة التي تقلنا وهي لوري كبير مزود بكل ما نحتاجه الرحلة وكنا بها نحن الثلاثة وسائق العربية ومهندس ميكانيكي والاخيران عسكريان يحمل كل منهما مدفعاً رشاشاً وكانت تتقدم سيارتنا عربية صغيرة بها الضابط المستول والسائق وجاوبش .

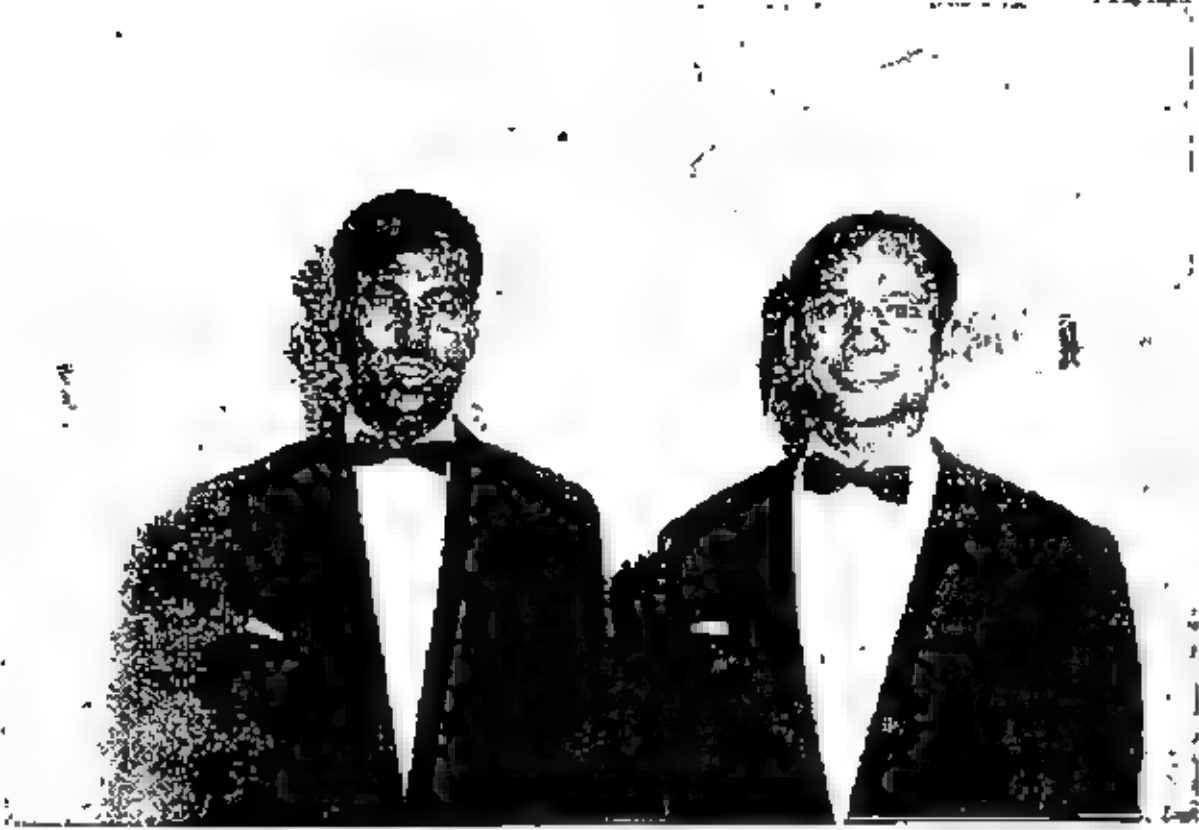
بعد ان سرنا النهار كله وبعد دخول الليل توقفنا لتناول وجبة العشاء فاصر الاخ بدر التهامي ان يطبخ وجبة ساخنة بدلاً عن المعلبات وطلب من السائق ان يشعل نارا فذهب السائق يجمع كميات من الرمل النملى* بالذخيرة الفارغة وصب عليها قليلاً من البنزين وأشعلها وجلس الاخ بدر ليطبخ لنا اكلة شعبية سودانية وهي (ملاح بوب) مستخدماً الجبنة والصلصة والماء واللبن وكنا نجلس حول النار طلباً للدفء من زمهرير الرد القارس وجلس بجانبنا بعض اطفال البدو الذين تجمعوا اثر رؤيتهم لتلك النار ونحن في انتظار الحلة فاذا بالحلة تطير على اثر دوى هائل وينطاير ما بها علينا واذا بنا جميعاً نعدو ناحية العربية لنعمل (خلف مناثر) وتعنى بلغة العسكريين نحمي انفسنا) وبعد مددة ليست بالقصيرة راينا اولئك الاطفال حول الحلة واندهشنا ورحنا نسألهم عن جليلة الخبر؟ فقالوا ان كل ما في الامر ان طفة قديمة لم تنفجر كانت وسط النار وبعد ان اشتعلت انفجرت فالتفتنا لنلوم بدر على فعلته ورجونا ان لا يقدم على امر مثل الذي حدث خوفاً عليه .

طلب منا الضابط المرافق الاخ الزين ان نشد الرجال وعلى بعد ثلاثة كيلومترات فقط توجد قرية بها مطعم وقهوة وما ان وصلنا القرية حتى عدونا انا وأحمد والزين الى داخل المطعم نسأل صاحبه مالدیه ولم نجد غير طبقين فاصوليا ناشفة فطلبنا منه ان يقسمها على اربعة اطباق وكان بدر قد تأخر عنا وبقي في العربية يجمع بعض حوائجه . احضر صاحب المطعم الاكل كما طلبنا . وبدأنا نأكل بشهية فقد كان الجوع قد بلغ

بنا مبلغاً عظيماً والبرد قارس والاكل ساخن وقضينا عليه في دقائق معدودة وتركنا للاخ بدر طبقه وجهه بعد ان فرغنا نحن من الاكل فقدمنا له الطبق وهجم عليه وكأنه اسد ينقض على فريسته بعد طويل عشاء ومطاردة أحتضن الصحن ونظر حوله بفوق المائدة فوجد ثلاثة اطباق صغيرة بها ملح وشطة والثالث به شيء داكن تراباً يستعمل كطفايه فاخذ بدر كمية من الملح والشطة والتراب معتقداً انه فلفل وصبه على الطعام ما اولج اللقمة الاولى في فمه حتى صاح (ده ظلط داء فطيع) ؟ وضحكنا كثيراً فقد شرب بدر القلب للمرة الثانية وتوكل على الله وفتح علبة ساردين وامثل لامر الله . وقضينا ليلتنا تلك بالقرية وواصلنا سيرنا في الصباح الباكر لنصل في نفس اليوم الى مدينة (مسراطه) وقبل ان نصل المدينة كانت العربة تسير بنا سيراً هادئاً ونسيم الصباح العليل يداعب الشجيرات المتباعدة والصباح الهادي الجميل يطفئ سكوناً على جنبات الوداي . فلا نسمع غير ازيز ماكينات العربة وكنت سارحاً اتأمل ذلك الجمال الخلاب حينها دوى اصوت انفجار وكنت اركب حينها بجانب السائق فسألته ما هذا؟؟ فأجابني بان هذا الصوت هو صوت لغم اى ضد الانسان ووقفنا قليلاً لمعرفة الامر . وواصلنا سيرنا الى مسراطه وكان استقبالنا حاراً دُبحت خلال الذبائح اكراماً لنا واحتفاءً بنا .

ودقنا بعد كد ومعب الماء البارد النقي والاكل الساخن الدسم قضينا ذلك النهار وفي المساء اقمنا حفلاً خارج المدينة بمعسكر الجيش بعد انا اعدو لنا مسجبة من الخشب مضادة بمصاييح العربيه وقد قامت بتشيد هذا المسرح فرقة سلاح المهندسيه انتهى الحفل بسرعة وذهبنا بعده الى ميس الضباط ومهرنا حتى صباح اليوم التالي . وكابو مسافرين في نفس الصباح الى القاهرة بانتهاء فترة تجنيدهم وكنا نحن سنواصل المسير بعد ان حملنا بالهدايا الفاخرة من قمصان وبظلونات وحلوة وسجائر وغيرها . انجھنا الى طرابلس مارين بمدن عديدة منها [مدينة الاخمس] الاثرية صاحبة التاريخ العظيم . وقد سمعنا من حرس المدينة انها ظلت مدفونة نحو خمسمائة سنة واكتشفت قبل الحرب وظهرت معالمها وتوقفنا فيها ودخلنا اليها من البوابة العمومية فكان اول المتخل رسم نموذجي للمدينة يحكىء حالها . قبل ٥٠٠ سنة .

وشهدنا العجب والله بعد ان شاهدنا مسرحها الدائري على المقاعد الحجرية ومنازلها ذات الطابع العربي القديم الجميل وقل ٥٠٠ سنة كانت تعمل السيوفونات بطريقة لا أقدر ان اشرحها هنا بتفصيل فهي شبيهة بالتي نستعملها الآن - سبحان



حسن عطية ورفيق دريه احمد المصطفى

الله - هؤلاء التميم متحضرون قبل ٥٠٠ سنة، الجميل في الموضوع ان التميم المصطفى كان يحمل معه صندوق صغير عبارة عن كاميرا او - مصوراتية - بلغة ر... وهو اسود مربع لكنه كان يصور فعلا - اخذ احمد هذه المدينة صور مختلفة لاهم معلما واخرج فيلما اخر اخذ بصور كلما تقع عليه عناية من جمال واشياء نادره ونفيسه الى وصلنا الى طريق - وهذه مدينة كبيرة سنعمل بها عدة حفلات بعدد المنسك وقضينا بها كذا يوم كنا محمولين على حدقات العيون وهنا يجب ان اعرف ان طريق مدينة احتلت اربعة مرات مرتان من المحور ومرتان من احتلال الحلفاء الاخرى ارجعنا الى قواعدنا سالمين. وجدنا بها الشاب الملازم ابوبكر فريد وكان شابا نيقا ميلا

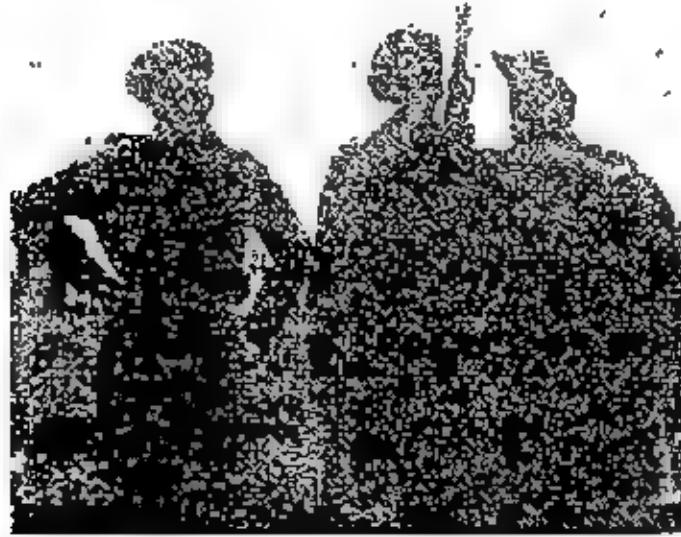
وفي وسط هذا الحطام للمدينة كانت غرفته بعد بنائها بواسطة الجنود المهندسين الذين كانوا يشيدون لأنفسهم منازل خريبة جديدة لسكنهم بعد تدمير المدينة وتحطيمها وكانت من بينهم غرفة ابوبكر عبارة عن صالون ودولاب ابيض مليان بالملابس الجميلة والروائح العطرة والبخور السوداني السبب الذي دعانا الى نعيش الا في هذه الغرفة وعملنا منها غرفة بروقات ومنزل للراحة وشرب الشاي المنعم .

وكان ابوبكر يملأ فراغه بقرص الشعر واختار احمد من ضمن قصائده الملهمة اغنية «كلما ذكرت جماله» الاغنية المعروفة التي كان يحكى فيها ابوبكر ايام المعاناة ايام النيران والضرب هذا جانب من ابوبكر الفنان تأخذ بجانبه كضابط كان شجاعا ابلى بلاء حسنا في طريقه ويكفينا ما وجدناه وشفناه منه من شجاعة واقدام كان يداعبنا دائما مداعبة عنيفة جدا دعانا نحن في يوم من الايام ومعنا المرحوم صالح بشير والشاب محمد عسري الصديق وكان صالح بشير ومحمد عسري من ضمن الضباط المهندسين والكتبة دعانا حسب كلامه لنحضر حفر «دروة» ضرب نار وذهبنا معه بالعربات لاطراف المدينة الى مكان معين ووجدنا ستة جنود ومعهم آلات حفر وذخيرة اسمها «جلكنات» وجدناهم محضرين لربعة حفر متساوية يحشونها بهذا الجلكنات الذي يشبه معجون البوية وربطت باربعة خيوط وفي النهاية انتهت بخيط واحد يسمى بالفتيل وسحبها معه ونحن مشدوهين نعاين ويدون سابق انذار قال لنا بصوت عالي «يا لله الجروا بعيد انا حاول النار» وخرجنا جميعا وكاننا في سباق الى ان ابتعدنا عنه تماما ووقفنا على بعد ننظر وهو لسه يجر في الفتيلة التي بيده الى ان وصل الى حطام عربة صالون ركوبة ودخل العربة واشعل الفتيلة بباقي عود الثقاب الذي اشعل منه سيجارته وطاربت الفتيلة مشتعلة نحو الاربعة فتائل لتشعلهم ليصل الاشتعال الى الاربعة اركان ويتفجر الاربعة اركان لتعمل فجوة طولها ستة امتار وعمقها اربعة امتار وتتطايرت الحجارة في الهواء مختلفة الاشكال والاوزان شاهدنا عدة حجارة تسقط على رأسه وهو داخل العربة وبعد لحظات وصلناه بعد ان طلع من العربة وصلناه وصرخ ينادينا «يا جماعة تعالوا - وذهبنا اليه مسرعين وقلنا له حمدا لله على السلامة - بكل بساطه رد علينا سلامة ايه يا مجانين انتو قايلين انا بموت ؟؟ بعد ان رأينا هذا المنظر وعرفنا قوة الجلكنات ذهبنا في المساء الى مكان الحفلي بنادي الضباط - كانت الحفلة داخل صالون النادي وبعد ان انتهينا من الحفل الرسمي دخلنا الى صالون آخر لتعمل حفلا خاصا بالضباط وكان الغناء جميلا ووقف جميع

الحضور في شبه حلقات للرقص والهز وكنت انا اراقب ابوبكر خوفا منه لانى كما قلت كان يداعبنا مداعبة عنيفة لانه كان يحمل معه كمية من اصابع الجلكنايت شديدة الالتهاب داخل جيبه واثناء الرقص كان يحثك بالراقصين ويضع لهم هذه الاصابع داخل جيوبهم وبعد ان امتلات جيوب جميع الراقصين وقف في تربية وصاح يعلن للجميع بان كل الذين بالحلية ملغمين وينذرهم بالا يشعلوا السجاير ومن يشعل اى عود ثقاب فهو هالك وحصل هرج ومرج يستعطفونه بسحب المادة من جيوبهم وياظت الليلة وذهب الجميع الى فراشهم يفتشونه لعل وان يكون ابوبكر لغم لهم السراير وكانت ليلة رعب فظيعة والغريب في الموضوع ان حتى كبار الضباط يعتبرون ان هذه دعابة ظريفة ولطيفة ومسلية وما فيها خوف - وفي اخر ليلة انتظم حفل الوداع حيث نسافر الى مسراطة جلسنا انا واحمد ويدر في ثلاثة كراسى وبدأنا الغناء وبعد دقائق شعرنا بشيء انفجر تحت الكراسى فهرولنا مسرعين واذا به ابوبكر مرة اخرى يضع اصابع الجلكنايت تحت ارجل الكراسى الخلفية وهذه المرة اخذنا الموضوع وجده ورفضنا الغناء وجاءنا ابوبكر معتذرا وهو يقول «ما لازم نعمل ليكم ذكريات لكي لاتسونا طول حياتكم - فعلا وقد كان» الا رحم الله ابوبكر فريد رحمة واسعة .

مسراطة : تقريرا هي العاصمة الثالثة بالنسبة لليبيا فهي مدينة كبيرة مليئة بالخوانيت التجارية والمنازل العالية الطوابق واشجار اللوز وحقول العنب وبعض انواع الفواكة - قضينا فيها ثلاثة ليالى وكأنها حلم جميل لما لقيناه من استقبالات وكرم حاقى من جنودنا البواسل ونحن لم نقصر في العطاء وبعدها ذهبنا الى بنغازى وكل هذه الرحلات لم نزل بالعربات وبنغازى تاتي في المرحلة الثانية من طرابلس وصلناها صباحا وكان احمد المصطفى مهتم جدا لوصوله الى بنغازى لانه يريد ان يحمض عدد من الافلام التى اخذها اثناء الرحلة من مصر الى بنغازى وذهبنا الى اول مصوراتى دكانه يعمل بالمحل عربى ليبى - اخذ الافلام وقال انتظروا بعد ساعة نعطىكم الصور محمضة وفعلا انتظرنا ساعتين قضيناها نتسل برؤية الخوانيت المجاورة لهذا المصوراتى - كانت المفاجأة بعد ان رجعنا ان وجدنا كل الافلام محروقة سوداء ووضعها في البنك وكأنه لم يعمل شيء فجن جنون احمد المصطفى وقال له ما هذا يا رجل - اين الصور؟؟ فقال له هاهى امامك وانت عرضتها للهواء فحترت جميعها الا واحدة هاهى ان اردتها فخذها مع دفع الثمن والاستصدارها وبرزه تدفع الثمن لاتنا تعينا جدا في تخفيض

الفيلم ودفع احمد المبلغ كاملا ليأخذ الصورة الوحيدة التي هي كانت تجمعنا نحن الثلاثة.



صورة برزى المبدان تضم حسن عطيه واحمد المصطفى
وبدروهي الصورة الوحيدة التي لم تحترق

قضى احمد ليلته الاولى في بنغازى وهو في غاية الالم على هذه الفرصة التي ضاعت
فلن يتمكن من التقاط مثل تلك الصور التي ضاعت وتألما معه وتحسنا عليها ولم
نسينا ذلك الاستقبال الخافل الذي قولنا به بعد فقدنا الصور.
ذهبنا لميس الضباط وكالعاده قضينا ليلتنا الاولى بسهرة صغيرة حدثني الاخ احمد
قبل السهرة بان عزاه في الصور كباية شاي بالكيك من سلاح الاشارة وطلب من

الاخوة الضباط الشاى . فكرت قليلا بعد ان سمعت حديثه وقررت ان « امقلبه » وبعد فترة ذهبت للمطبخ ووجدت بعض الاخوة منهمكين في تجهيز الطلب سألتهم لمن تعدون هذا الشاى؟ هل هو للفائدة؟ فردوا على بانه لاحد المصطفى لاننا قد علمنا انك لا تشرب الشاى الا مرة واحدة في الصباح ففصحكت وقلت نعم ان الاستاذ ترك شراب الشاى ليلا لانه يفسد صوته . حزنوا لما سمعوا عنى ذلك الحديث ثم شربوا الشاى وجمعوا اوانيهم وادخلوها وذهبوا لمكان الحفل وبعد ان بدأ الحفل تملل الاخ احمد واقتقد الشاى فذهب الى احد اصدقائه الضباط يسأله عن الشاى فغاب الضابط عنه وجاءه يخبره بان الشاى قد جهز بكل مواصفائك المطلوبة الا ان الاخ حسن عطيه اخبرهم بانك قد تركت شرب الشاى ليلا فشرّبوا ما اعدوه واغلقوا المطبخ .

بان الغضب على وجه احمد عندما سمع كلام الضابط وبدأت اراقبه من على البعد وظل احمد طيلة السهرة ينظر الى ولا يحدثني الا في حدود كنا نضحك انا ويتر . تناسى احمد مقلب الشاى وبدأ يفكر ويدبر ليثار لنفسه بمقلب اكبر .

خرجنا في اليوم التالي من بنغازى لنواصل الرحلة وقد حملنا بالهدايا من ملايس وساكولات وسجائر اذ ان المعروف ان احمد لا يدخن همس احمد في اذنى وقال : يا اخى الهدايا دى كترت ونحن لانحتاجها ويمكن ان نبيعها للعرب ونأخذ بئمنها حاجات اجمل في المدن . . فلم استحسن الفكرة في البدء ودخلنا لاول قرية في طريقنا وبدأنا نبيع مالدينا فتهافت العرب على العربية تشدهم تلك البضائع النادرة بأسواقهم خاصة اللبان «تشككلت» وكان الطلب اكثر على السحائر وطمأننى الاخ احمد انه كان قد زار المنطقة من قبل بان ابيع سجائرى وسأجده امامى في أول مدينه والتى لا تبعد كثيرا عن القرية التى نحن بها . فصدقته وبعث ما معى من سجائر واحتفظت لنفسى بعلبة صغيرة .

ومرت الليلة وطلع الصباح والسجائر خلصت ومر النهار ومر الليل وكنت خرماني جدا وكل مرة اسأل احمد ايه الحكاية ده مقلب ولا ايه فرد على بالضبط مقلب لاننا متصل باكر العصر - تذكرت شاى الا اشارات يا بطل وسكت ولم اجب بينت شفه لانه انتقم منى شر انتقام وكان مقلبي ليلة واحدة اما مقلبه فثلاثة ليالى وصلنا طرابلس بلد العجائب كانت جميلة بمبانيها الشاهقة الملونة وحدائقها الغناء وحواريها المغربية الشيقة وكأنت بها الرئاسة من كل الجيوش انكليز هنود سنغال سودانيين كانت كل هذه

الأورط لهم مطربين وموسيقين من بلادهم كما قلت في المذكرة اسمهم المختصر أربعة حروف «ا. ن. س. هـ» هذه المره كان الاستقبال بموسيقى سلاح الموسيقى المصغر والذبائح والزغاريد من الجنود واستمتعتنا بحدّة ليالي وحفلات مأكنا نرفه عليهم بأقل مما رفقوا علينا. شفنا العجب وذقنا حلاوة الترحاب السوداني الأصيل وشرينا ماء الورد لأول مره مع جميع المشروبات الخفيفة والثقيلة واكلنا كل انواع الأكل السوداني واللبيى والطلياني وكانت والله ورغم الديننا كانت مواقى حرب شفنا فيها جنة الارض «ما احلاك يا ليبيا»

استقبلنا في طرابلس استقبالا حسنا وظللنا نرفه على قواتنا هناك الى ان جاء يوم الاحتفال بخروج آخر جندى من ليبيا وكان يوما رائعا وحافلا ومؤثرا. وكان يقف على المنصة القائد العام الانجليزى وقائد الفرقة الهندية وقائد الفرقة السنغالية وقائد الفرقة السودانية [طيب المذكر احمد محمد] ومرت كل الفرق من امام المنصة. وعند مرور الفرقة للممثلة لقوة دفاع السودان امام المنصة على انغام (المارش ١٤) تعالت الزغاريد والتهافتات ونشرت الورود والمناذيل الحريرية واخيلوات على رؤوس جنودنا وداعا لهم. وعلمنا لاحقا ان القائد الانجليزى التفت الى زميله (احمد محمد) مستفسرا عن هذا التكريم الشعبى الخاص للجندى السودانى فرد عليه القائد (احمد محمد) قائلا «اذا اردت معرفة السبب فارجع الى دفاتر جزاءات كل الجنود فستجد ان دفتر الجندى السودانى خالى من كل ما يمس الشرف» وهكذا كان جنودنا يستحقون هذا التكريم الخاص. حيث تركوا اثرا رائعا وحميدا في نفوس الشعب الليبي.

ورجعنا قافلين الى القاهرة بقطار السكه حديد - كانت ساعات مرت وكأنها الدهر كله - المهم - ربنا سلم ووصلنا ارض الكنانة . امنا مصر العريقة الجميلة وشعرنا بارتياح شديد كأننا وصلنا السودان وذهبنا الى المعسكر فى بنى يوسف بالهرم مع الذين كانوا ينتظروننا وبيتنا ليلة سلمنا فيها العهده تانى يوم الصباح وهى عباره عن ملابس الجيش ورجعنا الى ملابسنا الملكيه وأصبحنا ملكيين كما قمنا من بلادنا وكان المرفوض ان نسكرن فى حى الهرم ولكن الترام الذى يوصل للهرم يتوقف الساعة ١١ مساء وكان هذا لا يكفى لاننا كنا طلاب سهر وعشاق موسيقى ورقص وأستاذنا من المسئولين ان يسمحوا لنا بالسكن فى القاهرة فذهبنا وسكننا فى شارع عبدالعزيز تقاطع شارع محمد على امام العتبة الخضراء فى لوكتده «ريش» ولم تنزل وهذه اللوكائده حتى الان ونخرجنا

للتنزه وقبل ان نقطع الشارع لنجلس في كنيست العتبة الخضراء رأينا الاخ الطالب عبدالمجيد ابوحسيب يخرجنا من فندق بور فؤاد اول شارع محمد علي وكان بالقرب من فندق ريش وفرحنا جدا بلقائه وأخذنا الى قهوه متاتيا بالقرب من العتبة الخضراء.

جوار مطلقى القاهرة ووجدنا بالمقهى اعدادا كبيرة من السودانيين وسمعنا اخبار السودان.

مازلت اذكر ذلك اليوم فهو نهاية الاسبوع مساء الاربعاء كنا لا نملك ثلاثتنا غير اربعة جنيهات وبمقياس ذلك الزمان كان مبلغاً محترماً وكفى لمدة طويلة وحسبنا ووجدناه انه يكفى لسهرة محترمة في اى مكان بمصر فقررنا ان نصره وكنا نعقد الامل على استلام مرتباتنا من القنصلية صباح الخميس.

صرفنا ما لدينا واصبحنا على امل السلفية فقد قررنا ان نبقى بالقاهرة لمدة شهر وكان ذلك في شهر فبراير والشتاء على اشده وكان الاخوة الطلاب السودانيون في انتظار عودتنا على احمر من الجمر وكانوا قد أعدوا لنا برنامجاً حافلاً.

وفي صباح الخميس خرجنا وما معنا غير ملاليم الترام لنصل الى القنصلية بميدان التوفيقية. خرجنا والامل يملأ جوانحنا ودخلنا الى القنصلية والتي كان معظم موظفيها أو قل كل العاملين بها انجليز ما عدا واحد هو الاخ الاستاذ محمد حسن عبدالله المرمى بالجليل وكنت اعرفه فقد كان استاذى بمدرسة الخرطوم الابتدائية ومعه اثنان او ثلاثة عاملين استقبلونا ورحبوا بنا خير ترحيب

وسألنا الاخ محمد عما نريده فاحبرناه فرد علينا معتذرا بانهم لم يلتقوا برقية من الخرطوم تفيد بامكانية تسليفنا من مرتباتنا واردف قائلاً ان الوقت قد ضاع ونجاوزت الساعة الثانية عشر ظهراً ولكن ذلك لا يمنع ان نبرق الخرطوم رئاسة قوة دفاع السودان لتفيدنا بامكانية تسليفكم ولكن لن نسمع الرد قبل الثانية عشر ليلاً، جلسنا ننتظر الرد وكانت الساعة الثانية مواعيد اغلاق المكاتب فاجأنا الاستاذ محمد ليعتذر بانهم لم يتلقوا رد على الرسالة. وطلب منا العودة يوم السبت.

وقع النبا علينا كالصاعقه والجمت الدهشة الستتنا فخرجنا نجر اذيال الحية وذهبنا راجلين الى العتبة مكان (الفندق) وصلنا حديقة الازبكية وجلسنا بها وقد استبد بنا التعب والجوع وحار بنا الدليل.

واستسلم الاخوه احمد ويذر للواقع ولكنى ظللت البعث في جيوب البدلة علنى اجد شيئاً فبحثت في الجيب الاول وخرجت يدي فارغة الا من بقايا تذاكر الترام

وادخلت يدي في جيب آخر واخرجتها وقد انقزجت اسارى وهللت لاني وجدت
قرش صاغ كامل

وأعلنت البناء على احمد وبدر فهللوا وقرروا عقد اجتماع عاجل لنحدد احتياجاتنا
الفعلية وما يمكن ان يسد الرمق فول او تسالي أو صميت عيش - بالسهم والجنة او
طعيمة وعيش . واستحال الطلب الاخير لرفض اصحاب المطاعم جلوس أكثر من
فرد على الطلب واستقر الراى واجمعنا على الصميت والجنة وابتعنا من الباعة
المتجولين وتناولناه فابتلت عروقنا وذهب الجوع قليلاً ووصلنا المسير الى الفندق وقبل
ان نصل خطر على بالي الاخ عبدالماجد ابوحسبو فقررت ان اذهب اليه على حصل
على قرض مالى ولو جنيه واحد .

وكنتم ذلك على الاخوين احمد وبدر ولكنهم تبعوني . دخلنا على الاخ عبدالماجد
ووجدناه جالساً الى مائدة الغذاء وامامه طبق من الارز وسلطة وطبق ملوخية ورغيفين
عزمنه عبدالماجد يهمة لتغدى معه ولكن الاخ احمد شكره وأردف نحن اتغدينا
واستاذناه وخرجنا بسرعة بحجة اننا ناعسون ووصلنا الى الفندق وتناقنا مع احمد على
سرعة رده للاخ عبدالماجد، فقال اننا كنا قد اتفقنا لا نخبر احد بما حدث فواصل احمد
- ايه رايكم نأكل على حساب الفندق . ؟ ، ، فقلت له : (دي قديمه، دي ممكن تطردنا
من الفندق لانه ستكشف سرنا) . (ساد الصمت برهة) وصرخ الاخ بلر وجدتها
فانتبهنا اليه فقال . . . لقد كلفت من بعض اقاربى في السودان لاحضر لهم زيت
زيتون من طرابلس ولقد احضرته والان موجود بغرفتي . . . قاطعناه . . . طيب ماذا
تتظر اذهب لشارع عبدالعزيز وهو مليء بمحلات بيع الطعمية والفول ويمكن ان
تفرج ازمتنا - تردد قليلاً ثم حمل الجالون ونزل السلام وبقينا احمد وانا نراقبه من الشرفة
وهو يتقل من مطعم الى اخر يحمل الجالون وغاد مرة اخرى يخرج اذيال الخيبة ويحمل
الجالون وقبل ان نسأله قال . . . سيك ديل تاس مستهبلين كملوا الزيت ذواقه واخيراً
قالوا ما نافع معاهم .

صخوت على صوت زوار وضع من كلامهم انهم سودانيين بعضهم طلبة والآخر
زوار في إجازة وطبعاً نحن في هذه اللحظة لا نملك خمسة مليات المهم بعد لحظات
قررنا ان نصرفهم بحجة تعبنا ونعسان . . . وكان كل مرة يضغط علينا الجوع
ضغطاً شديداً وقبل ان نفكر في النوم قال احمد ويا جماعة انا عندي اقترام هو انه كل
واحد فينا ياخذ قنجان زيت ونتم لاني سمعت ان الزيت بطرى المعدة على الاقل

بنومنا لغاية الصباح» ود حصل وبدأ صاحب الجالون في الجرعة وتبعناه جميعاً، ونمنا فعلاً ولكن الفرحة لم تلم إلا قليلاً فقد شعر كل منا بمغص شديد صحبنا على اثره وكان الاسهال ولم نغم حتى الصباح وطبعاً كانت البطون فارغة، ورمنا ستر ولم يحصل لنا فقدان سوائل واذا حصل ما كنا نحعرف. المهم خرجنا نلث الشوارع بدون هدف وفائدة ولم نجد اى زول نعرفه لانه كان اليوم جمعة والسودانيين ييكونوا سهرانيين ونايمين وفي هذه اللحظات شعرنا جميعاً بان بنطلوناتنا وسعت علينا وشلينا الالبازيم على بطوننا بدون فائدة وفكرنا في ان كل واحد فينا يدخل ايده الشمال في جيب البنطلون يشدة لتساعد البنطلون على الوقوف ويترك ايده اليمين للسلام اذا حصل فجأة ومشينا ثلاثتنا بهذا المنظر راجعين الى الفندق بعد ان حلى علينا التعب والاعياء وتسطحنا على سرايرنا بدون اى كلام وفي هذه اللحظات غفوت غفوة بسيطة حلمت فيها اني باكل اكل جميل وكثير ويظهر اني كنت بمضغ بصوت عالى وصحرتي الجماعة «قوم ياخي انت انت حلما يا به بتاكل في ايه» فقمتم عملت معاهم مشكلة كبيرة قائلاً «ياجماعة الواحد لما يحلم بالاكل ماتريحوه أعوذ بالله» المهم خرجنا العصر بدون هدف وبدون سبب وجدنا انفسنا في شارع «كلوت بك» وهنا كانت المفاجأة تذكر احمد ان له صديق دنقلاوى صاحب جراج اسمه سعيد فذهبنا اليه ولحس الحظ وجدناه شاب طويل اسمر اتيق ووجيه تبدو عليه النعمة، استقبلنا استقبالاً حسناً مرحباً بنا وجلسنا حوله وهو عمسك بشيسته الطويلة وطال السلام ونحن منتظرين يقول: «تعال يا ولد شوف الجماعة» وبعد كلام كثير لاحظ الاعياء علينا فقال «ايه الحكاية يا جماعة انتو باين عليكم تعبانين جداً من السفر» فقلنا له «فعلاً» (واخيراً قالها) «تعال يا ولدهات ثلاثة كازوزة» ليمونادة وثلاثة شاى بالحليب» وردبت عليه بسرعة فقلت له «يلا يا أخ سعيد انا عاوز كاس كونياك عشان عاوز انشط شوية» فقال «جداً طيب يا واد كاس دبل ومعه مزة تمام». وطبعاً انا لا هاوز كونياك ولا حاجة انا عاوز المزة طبعاً وما ان وصلت صينيتى وكان فيها رغيف وجبنة وزيتون وترمس وخيار ولم ألتفت بعدها لأحد فاذا باصحابى يهجمون على صينيتى ساكين الكازوزة والشاى بالحليب فاستغرب الرجل وادرك ان فى الامر شىء وقال «يا جماعة انتو ما اتغديتو؟ عطواى حكى احمد كل الحكاية فأدمع الرجل وقال لآحمد «ليه يا احمد نحنا اخوان وما فى مدسة بيناتنا، طيب انتو ساكين وين؟» فحكينا له قال: «طيب يلا بينا على الفندق» واخذنا معرّة فارهة ووصلنا الفندق وقال «اطلعوا يا جماعة لئلا عفشكم». ولما نزلنا وجدناه دفع

الحساب مع البقشيس واخذنا طوالي الى منزله في شقة جميلة في البلد، وضرب تلفون
لاحد المطاعم القريبة منه وطلب اربع رطل كباب وكفتة .
وبعد كدة اخذنا الى شارع الهرم وسهرنا في الأوبرج وهو نادى ليلى يرتاده عظماء
وسياسى البلد واولاد ذواتها حتى الملك فاروق كان له مكان خاص في هذا الأوبرج
وسهرنا حتى الساعات الاولى من صباح اليوم التالى .
بعد كده طبعاً فرجت واصبحنا ثانى يوم وذهبنا الى القنصلية الساعة ١٢ ظهراً
ووجدنا التلغراف وصل يأمر ان يصرف لنا حدود خمسة جنية للفرد وقضينا بعض
الوقت في القاهرة ومنها عدنا الى السودان فرحين مبسوطين وكانت فرحة لنا عظيمة
شفنا المواصل ما كنا ندرك انها ستكون ذكريات ذات قيمة عظيمة نجانا الاله العظيم
من كثير من اموالها .

الباب الخامس كسلا واسمره



ايام التشبب في الهضاب الاثيوبية

كسلا واسمره :

وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها واستقرت الامور بعض الشيء كنت اثناء الحرب اسمع عن اسمره المدينة المعلقة على رؤوس الجبال وجوها التوتع وشبابها الملء بالخيوة والفن ورخص مشترياتنا ، فكرت في اننى يجب ان ازورها ، كان حينها انى

يوسف يعمل بين كسلا وتسنى حدود اريثريا ومقره كسلا ومعه شاب من نفس حلتنا هو حفى ابو زيد «الله يرحه» طالت مدة لم نسمع عنها فاتفقت الاسرتان ان يرسلوني لاخى ومعى سيد حسن ابن اخى حفى . وفعلا ذهبنا لكسلا وبسرعة البرق وجدناهما فى قهرة السواقين ، وبعد الاحضان والسلامات اخذونا لافخم مطعم وكانت الدنيا ليل ومنها الى سهرة جميلة وكان معى العود طبعاً ، كان اخى يوسف يعمل عند ابن شيخ الصاغة سائق لورى وكان شاب لطيف مغرم بالغناء وباليالى الفنية . وعرفت انهم يسافرون كل يوم لحدود اسمرة ويرجعوا فى اليوم التالى حيث كانوا يعملون بالبراشوت «التهريب» وقلت : اهى فرصة يا ولدى امشى معاهم ونشوف على الاقل حدود اسمرة ، وفعلا ذهبنا ووجدت كل شىء متغير عن السودان تماماً الشوارع ، الناس العربات ، الجو ، الوادى الليلية والمرافق . رجع اخى وحفى احد ان قضينا يوم جميل وحلوا جوا الى كسلا وبعد ان جهز حفى ويوسف انفسهم للعودة معنا للخرطوم بعد ان علمت لاحقا انهم كانوا سيعودون للخرطوم لولا حضورنا . وفعلا عدنا للخرطوم وبعد الاحتفال بهم وقضوا معنا اسبوع لاجازة بدأوا فى ترتيب انفسهم للعودة لكسلا انتهزت هذه الفرصة لاعد معهم لارى اسمرة فاستعديت معهما مكونت فرقة موسيقية صغيرة مكونة من الاخوة يحيى زهرى باشا عازفا للبيان ، محمد احمد محمد خير داکو عازفا للعود . لكى نقوم بحفلات فى كسلا ونزود بالمال ونذهب لاسمرة . المهم نزلنا من القطار وكانت نهايته والدنيا ليل فذهبت لمحل كبير تجارى فيه اكبر مطعم ومقهى وجدت فيه هناك المرحوم سرور وفرح جدا بلقائى .

وبعد ان قضينا مدة بسيطة بكسلا ذهبنا جميعا الى اسمرة بالقطار من كسلا الى تسنى حيث ينتهى القطار وبعدها المركبات والشاحنات هى الوسيلة الوحيدة لنقل الركاب غير انه وفى بعض الاحيان تجد انواع من البصات تعبانة جدا يستعملها الاهالى ، ركبنا بعد التفتيش الجمركى الذى اتبعنا حدا لان هذه اللوارى عادة من الاشياء القانونية تحمل الجلود المدبوغة والفول السودانى والعطرون وغيرها ، والمحظورة الذهب الخام لغلاء ثمنه حيث يباع بالشلن الطليانى ويشتروا بثمنها الريالات الحبشية . . القشلية وهى من الفضة الخالصة حيث تصهر وتصنع منها الحجول والاساور لتزين بها نساء العرب الزبيدية والهدندوة وتباع بأثمان غالية جدا ، وطبعاً عند تعبئتها وتفريغها كنت ارى كيف يتفنن اصحاب اللوارى فى اخفائها وشفنا فيها الهول .

المهم وصلنا كرن بعد ان مررنا ببارنتو وهي كوتة نزلنا لنقضي ليلتين بكرن لان منظرها كان جميلا وكانت مفاجأة لنا عندما انزلنا صاحب اللورى امام محل تجارى كبير يجلس عليه الاخ حفى ابرزيد صديق اخى يوسف حيث كان يعمل نجارا هناك فازدادت دهشتى عندما علمت ان هذا المحل هو محله فرحب بنا ترحيبا حارا وقال : [الليلة دى حنعمل مفاجأة كبيرة فى البلد نعرفوا ان محمد يوسف على الليلة زواجة من شابة كانت تعمل معه اسمها لتشييه وسيمر المركب من هنا بعد شوية فى طريقه للاحتفال الكبير فى البراكس] محل اقامة الضباط فهي «الميس» وفعلا مر المركب وركبنا عربة الاخ حفى الفيات ووصلنا معهم وبمجرد ان رأونى علت الاحتفالات وضرب البروجي «البورى» ان حسن عطية وفرقة الموسيقى حضرت الآن، وبدون سابق انذار ترك العروسان الكوشة الملوكية واقبلنا نحوى بالاحضان والقبيلات .

واتذكر اننى شاهدت امام المطبخ المعد لتجهيز الطعام والشراب كان هناك ثلاثة اشخاص واقفين امام حلل كبيرة جدا يصبون فيها كل انواع الخمور «كوكيتيل» احتفالا منهم بهذا الزواج ويفرفون لكل من يمر بجوارهم فى كوز طلس ابيض كبير. طلعت اغنى ورفاقى وفى اثناء الفاصل الاول لاحظت ان الحضور كانوا فى حالة سكر شديد من جراء الكوكيتيل وانطلقت الاعيرة النارية وعلت اصوات المعازيم فرحا وانتشاء والزغاريد تضاربت مع اصوات التصفيق الحار. وعندما نزلت وجدت ان عدد الحضور قل جدا والعروسان فى ذهول من الذى يرونه امامهم فبدلا من ان يفرح المعازيم بالعروسان تركوهم فى اندهاش يضحكون، وارتبك الترتيب والنظام والاكل . وفى صباح اليوم التالى كان الجو صحوا والامطار تنساقط قلت للجماعة انا افنكر احسن نهرب قبل ما يصحو الجماعة ديل وتأخذ المقلب الشربوهو الجماعة امبارح .

وفعلا ركبنا بص اتيق وجميل وكانت الساعة السادسة صباحا تقريبا ودخلنا منطقة الهاويات ودى منطقة ياما وقعت فيها لوارى وشاحنات وريصات وركاب وبضائع بدون عودة وهಾಯية تدينا لهاوية، الحمد لله سلمنا منها ووصلنا حوالى الساعة الثامنة والنصف اسمرة. ياسلام كل حته فيها ملونة، الناس، الشوارع، العربات، البيوت، الاشجار، المحلات، التكاسى، والحناطير الصغيرة. نزلنا فى فندق فى منطقة وسط السوق العربى واسمه «بيرقوابرا» .

قضينا ايام عمرها ما حتنسى من على بلنا، البلد طبعها كانت حديدية عا ١٠ وركلنا مشدوهين امام ما نراه وما رأينا يعجز قلمى ان يصفه من ترحاب واعجاب وصار لنا

اصدقاء ومعارف ومعجيين ورسائل وذكريات عطرة طالما تۇرقنا كلها حانت منا للماضى
التفاته.



صورة جماعية ضمت الفنانين والاداريين والجنود

من تلك الذكريات قصة روزينا زوجة الحاكم الحبشى ، فبعد ان توفي زوجها
بقيت هي وحاشيتها في القصر وكما ذكرت ان الحاج سرور كان قد زار اسيرة كثيرا
قبلى وكان له معجيين واصدقاء وكانت روزينا على رأسهم ، وعندما حضرت كلمنى
عنها كثيرا وقال لى «سوف اخبرها بحضورك وتعمل حفل صغير لتغنى وتعزف امامها»
وجاء اليوم المحدد واخذنى الى منزل الحاكم وقابلتنى مندهشة وتكلمت معى بلغة
عربية . (كنت افكر ك كبير لانى سمعت عنك كثير) فقلت لها «لما اغنى حيثغير

وتشوفيني كبيره وضحكنا وبعد التعارف اتفقنا على ان نقضي معها عطلة الاسبوع يوم الاحد بعد الكنيسة الساعة واحدة ظهر.

وفي يوم الاحد التقينا بمجموعة من الاخوة السودانيين رقيعي المستوى والمقام ومجموعة من صديقات واصدقاء روزينا من حبش واريتريات وطلينان. وبدأت الحفلة وبدأت الغناء، وبدأت الزغاريد والتهنئات وقيص سوداني وحبشي، وكنت اشبك الاغاني مع بعض واستمر الفاصل ولاول مرة لي منذ بدايتي الغناء أغنى عشر اغاني مرة واحدة، وعندما وضعت العود جانباً لم اجد الانفسي محاطاً بكل هذا الجمع الغفير من الزوار حولي يهتفون باسمي ويقولون كلمات لم افهم معانيها بالطبع ولكن لم اجهل شجاعتها فقد احسست فيها العطف والحنية والحب وتعطرت ملاهسي تماماً بهاء الورد والفيل وغيرها من العطور طوال الثلاثة ايام التي قضيناها في قصر الحاكم ولم استطع انا والحاج سرور ان ننام اكثر من ثلاثة ساعات ولكن الجو المرتفع وبشاشة الحضور تزيل اثر التعب فنواصل تلك الايام الثلاثة بلياليها. وعدنا الى غرفنا في الفندق في ارهاق شديد فقد اجتمع تعب الايام الثلاثة علينا.

وفي صباح يوم الخميس الساعة عشرة صباحاً ذهبنا ان والحاج سرور لنشكرها على هذا الكرم والحفل النادر ورأينا قبل ان ندخل قنطرة واقف فيه العمال بقايا الحفلات لتلقى من اعلى الجبل. التقينا بالست روزينا فشكرناها كثيراً وصرت صديقها الثاني بعد الحاج سرور طبعاً.

وفي صباح اليوم الثاني خرجنا من الفندق لكي نتعرف على الاخوة السودانيين الموجودين باسمرا فسألنا اول سوداني قابلناه وعرفناه (بالزي السوداني وهو الجلابية والعمامة) وبعد تبادل التحايا سألناه عن رئيس الجالية السودانية؟ ووصف لنا مكان وجوده واقف لنا عربتين كروسة لتحمننا الى منزله باسمرا واسمه عبدالرحمن جميل واستقبلنا استقبال حسناً وقدم لنا وجبة الافطار واتصل تلفونيا بجميع تجار وموظفي السودان هناك واتصل ايضا بالقتصل السوداني وجميعهم حضروا لمقابلتنا وبدأوا في مناقشة كيفية اقامة الحفلات واستقر الرأي على ان تكون اول حفلة بسينما حماسين وباقي الحفلات تكون في الاندية الليلية وبعض السينمات والفنادق وفي هذه الاثناء حضر الحاج محمد احمد سرور بناء على اتفاق سابق كان بكسلا واشترك معنا في الحفلة الاولى وقد نجحت الحفلة نجاحاً منقطع النظير واستمرت الحفلات مع دعوات الاخوة السودانيين لرحلات نهائية في الحدائق الغناء على رؤوس الجبال فهذه كانت

من امتع الرحلات النهارية طيلة حياتنا حيث ان الطقس كان جميلا كالعادة وجميع الاخوة والاخوات والاسر الارثيرية كانوا يتراقصون ويمرحون ويفرحون معنا نحن السودانيين على انغام الغناء السوداني الذي كنا نبادله انا والعم الحاج محمد سرور مرة اعزف له ليغنى وتارة اعزف لنفسى واغنى .

واستغرقت رحلتنا عشرون يوما كانت جميلة جدا تنقلنا فيها من نوادي الى حدائق وفنادق اسمرأ وتمتعا فيها متعة جميلة جدا وكنا لا نذوق طعما للنوم الا قليلا في كل المدة التي قضيناها في اسمرأ وهنا لا بد لي ان اتحدث عن العم الحاج محمد احمد سرور . كان الحاج قد سبقنا الى اسمرأ في عدة رحلات كان يعمل في التجارة بجانب الفن بين ارتيريا واسودان وكانت تجارته من النوع الانيق كفضه الرفيع فكان يسجل اغنياته في اسطوانات بمصر ليبيعه باسمرأ ويضمن مبيعاتها كان يشتري الاشياء النادرة وجودها في السودان مثل البطاطين القטיפية الملونة الراقية والروائح العطرية وبعض ملابس النساء وبيعهما في العاصمة لاصدقائه المقربين وكان كل همه ان في هذه الرحلات الطويلة الكبيرة ان يدخل الفن السوداني في رؤوس الاخوة الارثيريين وكانت رسالته عظيمة حقا في هذا المجال وكان في سابق رحلاته التي لم نحضرها نحن يصاحبه في غناءه الشبالين والرق وكانت مهمته شاقة الى ان وصلنا نحن وشاركناه في اداء المهمة التي كان يتحمل مسئوليتها لوحده . وواصلنا الغناء في مشواره المنشود وبمصاحبة العود خففت كثيرا وسهلت معنى وتفهم الاغنية السودانية . لدرجة اننى كنت عندما اعزف العود واخرج منه نغمات ايقاعية واضحة المعنى كانت الفتيات يرقصن فيها الرقصات الافرنجية التانجو والمambo والسamba والرومبا وكانت هذه الارتام قريبة جدا الى اذهانهم لكنهم لم يتوقعن ان تخرج من هذه الآلة . وكنت عندما اغنى اتوقف عن الغناء واستمر في العزف على العود باحدى هذه الارتام وكانت الفتيات يرقصن على الرتم المعزوف بايقاعات تخرج من تحت اقدامهن وكأنها آلة موسيقية اخرى . وقد تمت مدة رحلتنا باسمرأ بعد ان تحمنا في مساعدة الحاج سرور في مهمته وكنا بذلك من اوائل الفنانين الذين غرسوا اول شجرة للفن السوداني هنالك .

مما اسعد الاخوة الارثيريين ان هذه الارتام يعزفها اشقائهم السودانيين وبعد زمن من ترددنا ظهر اثر الفن السوداني في حياتهم وغناءهم للدرجة انهم سموا بعض مطربهم ب (سرور وحسن عطيه) .

الفاشر

دعاني نادي موظفي الفاشر لعمل ليالى هناك بواسطة صديقي المرحوم مصطفى تحليل وكان نائبا للباشكاتب وسكرتيرا لنادي الفاشر. وكونت فرقة صغيرة من الاخوة الفنان ابراهيم الكاشف ومحمد احمد محمد خير «داكو» عازف العود والسر عيد الله عازف للكميان رحمهم الله.

وبدأنا السفر بالقطار من الخرطوم متجهين الى الابيض ومنها باللوارى الى الفاشر. وقد نشرت هذه الرحلة بالصحف المحلية مما جعلها معروفة لكل المحطات التي نمر بها، وهم استمعوا لنا من خلال اذاعة ام درمان ولكنهم لم يروا شخصياتنا، مما جعلهم يتجمعون في كل المحطات التي نمر بها وساعد في ذلك دور عاملى المشغون في محطات السكة حديد وظهر ذلك حليا عند وصولنا لاول محطة (الحصاحيصا) وكنا ننوي الاقامة بها لمدة يومين مع اصدقائنا وهم الفاضل الشفيق وكان نائبا للمأمور الحصاحيصا والدكتور على ارو وكان صاحب عيادة خصوصية وقسم محمد الامين وكان نائبا للمأمور رفاعة رحمهم الله. وكان الفاضل وقاسم تقريبا من سننا وكانا ذوي اصوات جميلة وحافظي لكل اغنيانا بالحرف ونزلنا بينهم مفاجأة، ووجدناهم يتسلون بالكتشينة وكان الوقت اصيلا.

وأرسل الفاضل احد المضامين لكي يحضر الحروف وآخر لكي يجهز الرتاش للاضاءة وثالث لينظم المنزل وفي ظرف ساعة كنا متدعجين وكأننا معهم منذ زمن، وأزدحم المنزل بكبار الموظفين وكبار تجار البلد وكانت ليلة ليلاء استمرت حتى الساعات الاولى من صباح اليوم الثاني.

وعلم مقتش المركز الانجليزى بكل تفاصيل تلك الليلة من البوليس السرى المعروف في عهد الاستعمار بتبليغ ما يحدث ساعة بساعة، واستدعى المقتش نائب المأمور الفاضل واستوضحه واعتذر النائب وهر الموضوع بسلام.

ولكى يتفادى الاخوة عيون الفضوليين والبوليس السرى قرروا اقامة الحفلة الثانية في مدينة رفاعة بقرية عد الحاج، وذهبنا بيوكس تجارى متخفين، وعلى بعد ٢ كيلو من القرية توجد قطية تملكها امرأة في خريف العمر كانت على معرفة بالاخوان الفاضل وقاسم وارو لمركزهم الوظيفى، وعند وصولنا قلعت باكرامنا بذبح عدد من العتار، واستمرت الليلة حتى مواعيد ذهابنا الى البنطون لكى نواصل الرحلة. وان انسى لا انسى ان هذه القطية كان يرتادها الهمبائى المعروف «يامسيكه».

وبعد وصولنا الحصاحيصا ركبنا القطار المتجه الى مدينة الابيض مرورا بمدنى، سنار، كوستى، ام روابة، حيث قابلنا فى مدنى الاخ الكريم الصديق مصطفى كزار على رأس المستقبلين واصر على دعوتنا ولكننا وعدناه بالنزول معه عند رجوعنا وى ام روابة قابلنا المرحوم الاخ عوض كوباتى الذى دعانا ايضا للنزول معه ووعدناه بالنزول عند عودتنا ولكنه اصر على تكرمنا ونحن على سفر. واستمر القطار الى ان وصلنا مدينة الابيض.

وعند وصولنا لها اضطررنا للبقاء يومين الى ان يتم تشكيل كونفوى لكى نهلنا للفاشر، وهذه كانت فرصة مواتية للاخوة من ضباط وتجار واطباء الخ لاقامة حفلات خاصة لا تزال ذكرها باقية.

وبعد تشكيل الكونفوى من اللوارى اخترنا اكثر اللوارى نظافة وجالا ولحسن الحظ كان سائقه رجل يحب الفن. كما تصادف ان ركب من ضمن الركاب الشاب طالب الثانوى «كلية غردون» هيثان عوض الله الذى صار اخصائى امراض الكلى، وكان سبب سفره للفاشر هو دعوة نخاله احد كبار ضباط الجيش بمدينة الفاشر. وكانت الرحلة تقدر بحوالى [خمسة ايام] وكان السفر ليلا والراحة نهارا للنوم وطبخ الاكل، فى مقاهى منتشرة بطول الطريق وهى تجهز الاكل والشاي والقهوة للمسافرين. وايضا تقوم بتأجير العناقريب لنومة النهار «بمبلغ عشرة قروش»، اما السواقين فكانوا امراء زمانهم وذلك لما يملكون من مال وجاء يسيطرون به على التجارة والمجالس الرسمية والخاصة فى غرب السودان.

وبعد خمسة ليال من المشقة والبرد القارص وصلنا مدينة الفاشر، وقد ظهر اثر هذه المشقة فى اننى فكرت فى الرجوع بالطائرة قبل ان اسلم على من استقبلونا. وعادة تخرج كل المدينة لاستقبال الكونفوى الذى يقل كل ما تحتاج اليه مدينة الفاشر من مستلزمات، وفى تلك اللحظة قابلنا الاخ مصطفى خليل رحمة الله عليه،

وكان رجلا عملاقا مثقفا قويا يهابه الرجال ويتدرج في الخدمة المدنية من كاتب الى باشكاتب الى ان وصل درجة محافظ مديرية «ولم تحدث مثل هذه السابقة في تاريخ السودان» الذي استقبلنا استقبالا حافلا واستضافنا بمنزله .

وبعد ذلك عقدت هذه اجتماعات لتنظيم ثلاثة حفلات رسمية واخرى خصوصية لكبار الموظفين، وكان الاتفاق ان تأخذ ٧٠٪ وال ٣٠٪ لتجهيز الحفلات، وكان عرضا سخيا قل ان يوجد في اى اتفاق، وقضينا مدة ١٥ يوم حافلة بكل انواع الكرم والترف. ولا يمكن ان نتصور عزيزى القارىء حسن المعاملة التى حظينا بها وقل ان توجد فى مثل هذا الزمان.

ولا يفوتنى ان اقول كانت مدينة الفاشر زاخرة بكل انواع الخضر واللحم . وفى فترة اقامتنا بالمدينة شاهدنا كل انواع الرقصات القبلية والنقارة وكانت هذه الرحلة رحلة العمر. الا اننا عندما ههنا بالرحيل حملناهم هم السفرية الشاقة ولكن جدا لله وصلنا الخرطوم بالسلام.

كشف الثقلاء لمصطفى خليل

ابتدع الاخ المرحوم مصطفى خليل هذا الكشف لكى يكون مسألة ترفهية ومداعبات فنية المقصود بها ملء الفراغ فى الوقت الذى لم تكن فيه احزاب سياسية او سياسة بالمعنى المفهوم لوجود المستعمر الانجليزى بل كان كل اهل الفكر السودانى يتجهون نحو السياسة المصرية والاحزاب المصرية وفعلًا كان شباب ذلك العهد مولع بالعمل السياسى والادبى والاجتماعى ولكن على خفيف خوفا من بطش المستعمر ولذا تبعت فكرة كشف الثقلاء فى رأس الاخ مصطفى خليل ليبدأه دائيا وفى كل صفحة باحد الحواجبات المتعجرفين المتكبرين من المستعمرين مثلا يقول الاخ مصطفى انا اكره القرع ومستر فلان الباشكاتب والقرع كان من ضمن الخضروات الشائعة لقلّة الخضروات ايامها وصارت طعمه مسيخا بالنسبة لاكله يوميا ومستر فلان وملاح الورق مثلا ولكن الحيلة لم تنجح واكتشف الانجليز اللعبة واستجوب مصطفى خليل واستطاع مصطفى وهو كان اكبر مراوغ ان يخرج من هذا المأزق بجلده، ولكى لا تتضح الحقيقة استمر فى هذا الكشف بس هذه المرة كانت باصدقائه السودانيين من

العاصمة المثلثة فقط بمعنى كلما تقرأ أى شلة بأن فلان القلانى أو واحد من الشلة بدأت تظهر عليه علامات الثقالة يرسل خطاب مهور بامضاء الشلة ويرسل الى الاخ مصطفى بجميع الملاحظات التى تثبت ثقالة العضو الجديد، ويستلم الخطاب الاخ مصطفى ويجمع لجنة من اقرب الاقربين اليه ويقرروا اذا كان الرجل ثقيلاً ام لا وبالتالي يرسل للعضو الثقيل جواب وكأنه صادر من جهة رسمية يخطرونه بأنه ثقيل ام لا بعد شرح كل القضية والاصحاب الذين وجهوا اليه الاتهام وفي اغلب الاحيان تثبت جريمة الثقل عليه ويدرج بالكشف ولا يمسح من الكشف الا بوليمة كبيرة مستوفية شروط الحضور وعادة تكون هذه الوليمة عبارة عن قبلة بأى جنينة من جنات زمان نهارية او سهرة فى منزل ملائم للسهرة .

الجانب السادس

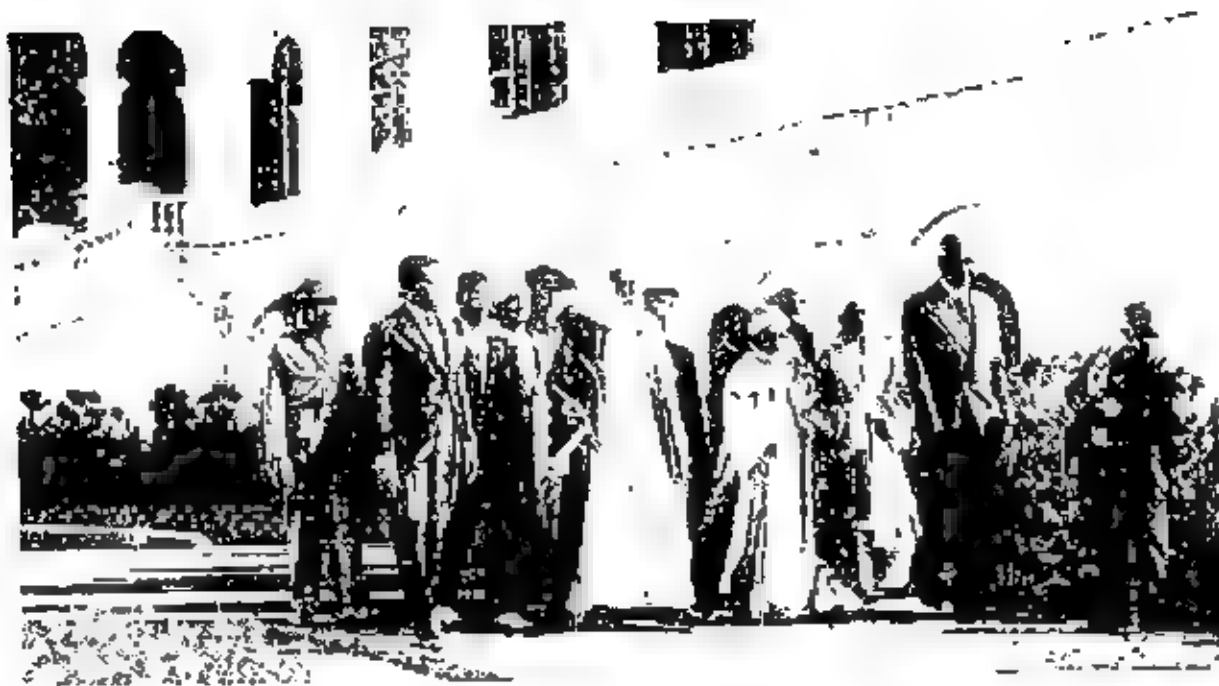
الاستقلال وما بعده



آخر حكام السودان من البريطانيين

إستقلال السودان

في يوم ١٩٥٦/١/١ تجمعت كل جماهير الاحزاب، السياسيون والموظفين والعمال وافراد الشعب السوداني من كل الفئات، حدادين، نجارين، خياطين، بنائين، مزارعين، من العاصمة المثلثة في ميدان أمام القصر الجمهوري الحالي وحضرت جماهير الحزبين الكبيرين حزب الوطني الاتحادي وحزب الامة والاحزاب الاخرى



السيدان عبد الرحمن المهدي وعلي الميرغني عند دخولهما



جواء توفدي العلم في ١٩٥٦/١/١م

وكان التجمع رهيباً وكانت ضربات قلوب جميع الواقفين تكاد تسمعها واحضر العلم
السوداني الذي كان اول علم سوداني يحمله الشعب السوداني ، وكانت لحظات
رهيبه هتفت الجموع وعلت الاصوات وزغاريد النساء وانهمرت الدموع ، دموع كل
الشعب والعلم محمول الى المنصة يتقدمه الزعيمان المناضلان السيد اسماعيل الازهري
عن حزب الوطني الاتحادي وبجانبه السيد محمد احمد محبوب عن حزب الامة وكان
علم الاستعمار اليونين جاك بالوانه الزاهية يرفرف ووقف الاستاذان الازهري ومحبوب
يحملان العلم امام مندوبي صاحبة الجلالة الملكة لينزلوا العلم البريطاني ليحل محله
العلم السوداني وفعلا كانت لحظات تساوي سنين رجفت لها القلوب وعلت الهتافات
الله اكبر والله الحمد الله اكبر والله الحمد وينزل علم الانجليز بأيدي الانجليز انفسهم



الاحتفال المقام بمناسبة الاستقلال ووداع الحكم العام

وأيضاً العلم المصري . ويهدوء شديد ينزل العلمين الى الأرض وفي نفس اللحظة رفع العلم السوداني بنفس الهدوء الى العلاء الى اعلى رأس السارية ووصل ورفرف قد وصلت
التهنئات الله اكبر الله اكبر الله اكبر والحمد لله كثيرا ويكي الزعماء وبكت الجموع
ونزلت دموع الفرح لقد كان يوماً عظيماً ولن يتكرر بالطبع .

فقد كنا نتطلع كثيراً الى يوم الاستقلال اما نحن الغنائين وكنا لا نتعدى اصابع
اليد، احمد المصطفى وأنا وحسن سليمان وعبد الحميد يوسف وابراهيم الكاشف نلتقي
في كل شيء في رأينا خصوصاً في حكاية استقلال السودان بالرغم من انتهائنا لاجزاب
مختلفة ولذلك كما نتغنى بالاغاني السياسية المغلفة مثل «السودان يا بلدنا نحن الفيك
اتولدنا الجحامين بعدنا بلقوا الخير فيك أدنى وهي للشاعر علي نور المهندس شاعر المؤتمر
وفي الفؤاد ترعاه العناية للشاعر المرحوم يوسف التني .



وداع الجنود البريطانيين والمصرية في يوم الجلاء

والاغاني الشعبية واكثرها مثل يا غريب يلا لي بلدك وكنا نشارك في الليالي السياسية وافتتاحها بالاناشيد الوطنية . . وكنا نطمح في تقدم السودان وقيادته لافريقيا غير ان ما تراه اليوم من تردى وخراب وفوضى لم يكن يخطر لنا على بال .
عندما خرج المستعمر من السودان لم يترك الخزائن فارغة كدأب كل حكومة من الحكومات الوطنية فقد خلف اكثر من ٣٥ مليون جنيه .
اللهم احفظ للسودان وحدته وجنبه المزالق وعجل برقاية شعبه الطيب انك السميع المجيب .

أطول واضخم رحلة فنية لجنوب السودان

في ديسمبر ١٩٥٩م وبعد شهر واحد من افتتاح المسرح القومي بامدرمان شكلت الاذاعة اضخم بعثة فنية في تاريخها لتطوف كل الاقاليم الجنوبية ومراكزها في رحلة استغرقت ٤٥ يوما قطعت البعثة خلالها ٦٦٠٠ ميلا سيرا بالعربات ، وكانت البعثة تضم حوالي ستون فردا من الفنانين والممثلين واوركسترا الاذاعة وفرقة موسيقى القوات المسلحة بالإضافة الى اداريين من الاذاعيين وسرية حراسة وقيادة من سلاح الخدمة .
وقد بدأت البعثة مسيرتها من دار الاذاعة بامدرمان حيث قضيت اول ليلة بالمسرح القومي لتبدأ مسيرتها في الرابعة فجر اليوم التالي الى الشجرة ثم جبل أولياء حيث انضمت اليها فرقة موسيقى القوات المسلحة وسرية الحراسة والقيادة . ومن ثم بدأت اضخم وأطول مسيرة اذاعية .
ونضمت البعثة :-

من الاداريين المرحوم محمد عبدالرحمن الحانجي المراقب العام للاذاعة حينئذ والاساذ محمد خير هشان المشرف على المسرح القومي ورئيس البعثة والاساذ عبدالله رجب صاحب ورئيس تحرير جريدة الصراحة . . والمراسل الرسمي للجريدة والاساذ خلف الله احمد نائب رئيس البعثة والفنانين حسن عطيه صلاح ابن البادية صلاح محمد عيسى محمد احمد عوض - الممثلون الفاضل سعيد عثمان حميده محمود سراج السر احمد قدور اسماعيل خورشيد منلوجيست الفنان الكبير الراحل «بلبل» .
رافصون . بامبو - ابراهيم افريكانو - طبأخ عبداللطيف سائقى الكفويات كرسنى ، عباس الطيب ، على مساعد ، شتيوى كمساعد - اذاعة محلية في واو وحوبا - المهندسين - خلف الله والشاذلى عبدالقادر ورفاقهم .
وقد ترأس اوركسترا الاذاعة في البعثة الاساذ بشير عباس بينه ترأس الرائد عوض

محمود موسيقى الجيش وبعد رحلة بالعربات من الخرطوم استمرت ٤٨ ساعة وصلت البعثة الى مدكال ثم واصلت مسيرتها عن طريق بور، الى واو عاصمة بحر الغزال حيث تبدأ البعثة نشاطها في طوائفها القنى على جميع المديريات الجنوبية.

وفي اول أيام البعثة في واو تمت عسكريتها اذ ارتدى جميع افرادها الزي العسكري الذى كان يحمل شعار القيادة الجنوبية وكان ذلك الاجراء ضرورياً لسلامة افراد البعثة اذ انهم وطوال فترة الرحلة سيكونون في ضيافة القوات المسلحة كما ان اقامتهم خلال الرحلة ستكون في عمليات القوات المسلحة اذ ان الاشتباكات العنيفة بين الجيش وقوات التمرد الاولى كانت في عنفوانها.

وكانت البعثة قبل مغادرتها الخرطوم قد زودت بالمتاع العسكري والذى يسمى «التمرة العسكرية». وصرف لكل افراد البعثة وكان يتكون من سرير سبرى، بطايتين صوف وناموسية. الخ كما كانت هناك عربات «تعمينات» احتياطية تتكون من المعدات والعقدس والارز والدقيق والشاي والسكر. الخ. . . يرافقها طباطخ مدنى عين خصيصاً لهذا الغرض.

وشهدت واو خلال تلك الايام تجمعاً عسكرياً ضخماً ضم كل القيادات العسكرية في الجنوب وجميع الحكام العسكريون هناك اذ انه من المقرر ان يصل الى واو الرئيس الراحل ابراهيم عبود حيث يلتقى هناك بالقيادات العسكرية وقضت البعثة اسبوعها في واو تقوم بنشاط مكثف فهناك سهرات غنائية تمتد الى ما بعد منتصف الليل وإذاعة متقطعة لتغطي مساحة خمسون كيلومتراً حول واو، بينما الاداريون منهمكون في اجتماعات متصلة مع القيادات العسكرية وحكام المديريات ممن ستزور مناطقهم حيث وضع برنامج دقيق للتحرك من مكان لآخر وموعد الوصول محدد بالساعة والدقيقة والغريب والمدهش حقاً في برنامج هذه الرحلة الانضباط الدقيق في المواعيد فلم يحدث ان غادرت البعثة موقعا والوصول الى موقع اخر دون ان يكون ذلك في الموعد المحدد تماماً رغم طول الطريق وصعوبة مسالكها احياناً، عين المرحوم اللواء الطاهر عبدالرحمن قائد القيادة الجنوبية ليشرف شخصياً من مقر قيادته بجوبا على التحركات اليومية للبعثة وخط سيرها بواسطة اللاسلكى مع وحداته العسكرية المختلفة.

ولابد لنا من التوقف لحظة للتحدث عن اهداف هذه الرحلة التى خطط لها اللواء (م) محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات انذاك فقد جمعت عدة اهداف تحققت جميعها، كان الهدف الاول هو الترفيق عن جنودنا في مواقعهم وشمل ايضا المطربين في عواصم المديريات اما الهدف الثانى فهو بث فنون الشمال لاختواننا الجنوبيين بواسطة



ليلة من ليالى اسعرا



رحلتى الى جنوب البلاد

الحفلات التي تقيمها البعثة وتبث أيضا عن طريق الاذاعة المتنقلة المصاحبة للبعثة للمناطق المجاورة، أما الهدف الكبير الاخر فهو تعرف اعضاء البعثة على الفنون الجنوبية المختلفة وقد تحقق هذا الهدف جليا عندما وصلت البعثة الى مدينة [ياى] وهناك اكتشف الفنان الشعبي القدير (يوسف فتاكي) الذي عرف فيها بعد هو وفرقة في جميع انحاء السودان باغنيتها الوطنية الشهيرة:-
ياى بلدنا سودانا وطننا . . . وكلنا اخوانا

وبغادرت البعثة [واو] بعد مهرجان شعبي عامر استمر لاسبوع كامل حضره جميع سلاطين بحر الغزال وشاهدته مجموعات قبائل بحر الغزال التي توافدت على العاصمة (واو) بشكل لم يسبق له مثيل حسبما رواه المسئولين بالمدينة . .
وبدأت البعثة جولاتها بزيارة مدن الزاندي، امتزار، يامبيو، ومريدي ثم ياى وحطت الرحال في عاصمة المديرية الجنوبية (جوبا) وهناك افترق عنا المرحوم الخانجي مراقب الاذاعة عائدا الى الخرطوم وكان موكلا من اللواء محمد طلعت فريد لمرافقة البعثة في المرحلة الاولى للاطمئنان على مسيرتها وشهدت جوبا كرصيقتها واو مهرجانا استمر طوال الاسبوع وتقاطرت صوب المدينة افولج مواطني الضفة الشرقية والغربية وانتشرت اماكن المهرجان حتى شملت دار سينما جوبا التي فتحت ابوابها بالمجان لاستقبال افواج المشاهدين من الاخوة الجنوبيين لمشاهدة عروض البعثة الذي فاق توقعهم بفنانين اخوانهم في الشمال كل الحدود المتوقعة لدرجة ان شعار البعثة وهو عبارة عن اغنية وطنية الفتها البعثة في بداية الرحلة وكانت تؤديها في مطلع كل حفل - اصبحت اغنية شعبية يرددوها الاخوة الجنوبيين في كل مكان في الشارع في الاسواق في السينما، حتى في الغابة سمعنا لحنها ونحن نعبث القرى خلال سفرنا وكان لهذا التلاحم فرصة جيدة يلتقي فيها الشاعر والملحن والفنان فكم من اغنية جديدة ظهرت خلال هذه الرحلة ولا عجب فقد كان ضمن جنباياتها المؤلف الشاعر، والملحن الموسيقار، ثم الفنان المطرب . .

كم يتمنى الانسان الان وبعد هذه الفترة الطويلة ان تعود نشهد مثل التلاحم بين مواطني البلد الواحد كما شهدناه ولسناه نحمز في ومن جوبا اواخر الخمسينات واول الستينات . . . ومن جوبا مسار الركب، ، ، ،

ونغضى الرحلة الفنية في أطول رحلة عرفها الفن الغنائي في ربوع الجنوب - وتزور البعثة أعتى مواقع التمرد الأول وأعني بها جبل «أكاتوس» وهناك التقت البعثة بكونية الأبطال الدين يحمون الموقع يقودهم انذاك الصاع (الرائد) أنس -

ومن المواقف الطريفة التي حدثت لي عند وصولنا هناك فعندما نزلنا من العربات كنا محملين بالأثربة والغبار وكان علينا أن نبدأ حفلنا الغنائي فوراً وقبل أن يحل الظلام حتى نتجنب الاضياء ليلا فتكون هدفاً سهلاً لقوات التمرد التي كانت تعسكر في الجانب الآخر من الجبل . وسألت أحد الخنود من الذين استقبلونا مرحبين ان كان هناك بعض الماء لأغسل وجهي قبل الصعود للغناء ، وغاب الجندي لوهلة قصيرة ظهر بعدها «أنس» ضاحكاً ثم قال موجهاً حديثه الى : يا أبوعلى هنا مافي موية ، والموية الموحودة للشراب وبالقطارة - وأردف ضاحكاً : - نفضر وجهك يا أبوعلى واطلع المسرح - وانفجرنا صاחקين وزارات البعثة بعد ذلك اقليم أعالي النيل لتعود بعدها الى الخرطوم بنفس العربات .

وفي طريقى اختتمت نشاطي بآخر حفلاتها الغنائية بمدينة «الرنك» وكانت ليلة الوداع بحق ، فقد تجلى يومها أعضاء البعثة بتقديم أروع انتاجهم ومع ذلك كانت علامات الحزن ترسم على الوجوه ، فقد حلت لحظات الفراق بعد ان ربطت بينهم هذه الرحلة الطويلة برباط قوى جعلهم يتعلمون على كل ما لاقاهم من معائب . وفي الساعة العاشرة من صباح ايام شهر يناير عام ١٩٦٠ دخل الى مبنى الاذاعة بأمدردمان كانغوى من العربات يحمل في مقدمته علم القيادة الجنوبية ونزل منه أعضاء البعثة يرتدون الزي العسكري الذي يحمل شارات القيادة الجنوبية ، وبين مظاهر الفرحه والعناق علوت البقعة الى دارها الأم .

ومن الطرائف التي لا تنسى عن تلك الرحلة انه عندما وصلنا الى يامبوي المديرية الاستوائية أقامت ادارة البعثة بمنزل مفتش المركز وكان هناك المرحوم الخانجي ومحمد حير عثمان وحلف الله احمد والاستاذ عبدالله رجب وشخصى - وأعطيت بعض ملابسى التي سأظهر بها على المسرح للخادم ليقوم بكنها . وفي المساء عندما كنت استعد للذهاب للحفل اكتشفت ان الباييون (الكرافة) التي سأظهر بها في الحفل قد حرقت تماماً ، ونسبت بينى وبين الخادم وهو من أبناء المنطقة وكان لا يجيد العربية منافشة حادة فقد وضعنى في موقف حرج اذ كيف يمكن ان أظهر في هذا المسرح خصوصاً ان الحفل سيؤمه عدد كبير من المواطنين . وتدخل الاخوة اداريو البعثة لفض النزاع ومن ثم توجهت للمسرح حائفاً ، بينما بقى الاخوة الاداريون بالدار في محاولة لتهدئة الخادم الذى كان يظن بحكم عدم إجادته للغة العربية بأننى قد أسأت اليه .

وما أن أدببت وصلتنى بالمسرح فقلت عائداً للدار ، والتي لم تكن تبعد عن مكان الحفل كثيراً . وبمجرد دخولى الدار وكان الوقت يقارب منتصف الليل منسب بالخادم يقف أمامى غاضباً وعيابه تنذر بالشر وتوجهت الى غرفتى وأنا غير مطمئن ولم يكن

بالمنزّل نور كهربائي وانما كانت هناك رتيبة واحدة مضبوطة بالصالة كانت كافية لاضاءة الغرفة التي كنت أقصدها ببصيص من نزر وفجأة وبينما انا أشرع في استبدال ملابس الحفل اذا بالرتيبة يقل ضوؤها. وبالطبع اتجه تفكيرى كله الى الخادم وانه شرع في الانتقام منى. وتلمست طريقى الى سرير الاخ الخائجى الموجود بالغرفة اد اننى كنت اعلم بأنه يحتفظ بسدقته التي كان يحملها معه من الخرطوم للصيد بجوار سريره، وفعلًا وجدت البندقية وقمت بتعميرها وقد كان الخادم يراقبنى من خارج النملية، وهنا انضطأت الربيبة تماما. وجلست في وضع استعداد وكانت واجهة الصالة عبارة عن نملية. ومكثت في ذلك الوضع مدة خمسة وعشرين دقيقة وكنت خائفاً ومستعداً لاطلاق النار في أية لحظة اذا سمعت أى صوت من الخارج. وفجأة سمعت اصواتاً بين الغابة والمنزّل وخطر ببالي ان الخادم استعان ببعض معارفه وعاد للانتقام منى بعد ان عرف اننى بالمنزّل بمفردى.

وقدرت ان أطلق النار على القادمين بمجرد اجتيازهم للغابة، وكان الظلام دامساً، وفي اللحظة التي ظهرت فيها الأشباح وبينما انا أستعد لاطلاق النار عم المكان ضوء كان لعربة قادمة. فتمهلتم ونمهل القادمون ووقفت العربية أمام المنزّل ونزل منها المرحوم الخائجى ولم يكن القادمون الذين كنت أنوى إلقاء النار عليهم سوى الاخوة محمد خير وخلق الله احمد.

وكانت السكّة التي ظللنا نصحبك كلما تذكرناها طوال فترة الرحلة.

ابو المسرح القومى

لن ينسى تاريخ الفن في السودان دور اللواء محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات في عهد الفريق عبود في انشاء المسرح القومى، فقد كان هو صاحب فكرة إنشائه وهو الذى كرس كل وقته وجهده لبناء وتشبيد المسرح القومى في فترة وجيزة لم تزد عن بضعة أشهر. وكان الرجل يحضر الى موقع المسرح في السادسة صباح كل يوم ويبقى مع العمال والبنائين حتى الثامنة صباحاً حيث يتوجه الى مكتبه ليعود مرة اخرى عند الظهر ويبقى معهم حتى وقت متأخر من الليل، الى ان اكتمل المسرح وبدأ نشاطه. وللمسرح القومى قصة..

ففى مبنى الاذاعة القديمة - كان الاستاذ على شمو يقيم سهرة منوعات شهرية تذاخ تحية وكانت قريبة الشبه من السهرة التي يقدمها الاستاذ جلال معوض من الاذاعة المصرية آنذاك «أصواء المدينة».

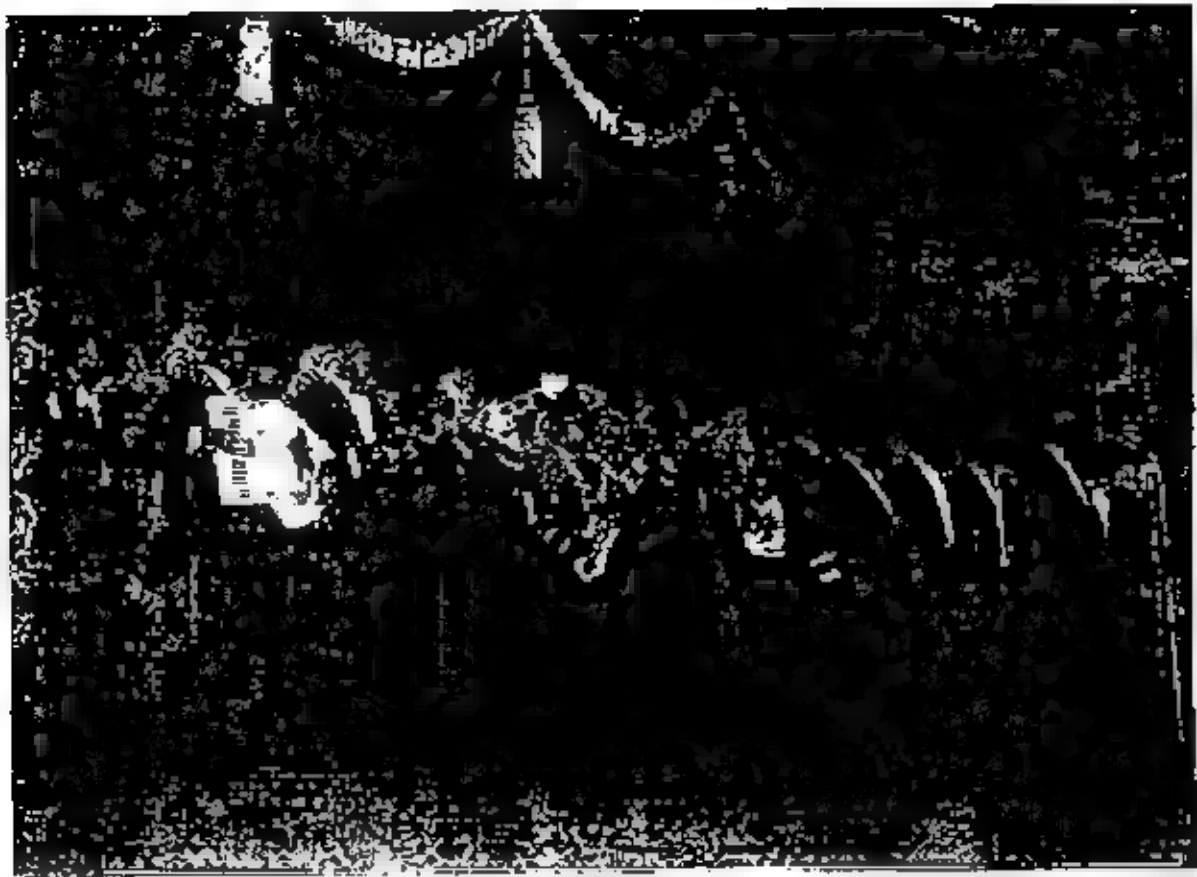
وكان حضور سهرات الاستاذ على شمو من المواطنين بدعوات مجانية توزعها الاذاعة، وعندما انتقلت الاذاعة الى مينائها الجديد كانت هناك ساحة كبيرة اتاحت للاذاعة التوسع في سهراتها الشهرية حيث كان قسم البرامج يقوم ببناء مسرح خشبي في مكان المسرح القومي الحالي وكان يشرف على المسرح والحفلات الاساتذة محمد خير عثمان والمرحوم عثمان على حسن وسليمان داود وخلف الله احمد، وكان الاقبال الجماهيري على هذه الحفلات المجانية منقطع النظير.

وعندما جاءت حكومة الراحل الفريق إبراهيم عبود وعين اللواء طلعت وزيراً للاستعلامات كان يحرص على حضور هذه الحفلات ولم تلبث الفكرة أن تبنت في ذهنه فشرع في تنفيذها على الفور. وهكذا ظهر للمسرح القومي للوجود ليصبح قلعة ومنازة للفن الغنائي في السودان وللاستكشافات الفكاهية. وظهرت للوجود شخصيات تورالجر وأبوبقورة وشخصيات الفاضل سعيد النمطية، وكان اللواء طلعت حريصاً على متابعة أنشطة المسرح المختلفة متابعة دقيقة بل كان رغم مشغوليته الكثيرة والمتعددة يشرف عن كثب على كل صغيرة وكبيرة وكانت مسودة برنامج الحفل تعرض عليه سلفاً قبل الحفل بعدة أيام. واذكر في إحدى الحفلات أنه انتقل من كرسيه في الصالة الى غرفة مدير المسرح وكان وقتها الاستاذ محمد خير عثمان واقترح عليه تقديم فقرة مسابقة غنائية بين الرواد المتفرجين وعندما أبدى الاستاذ محمد خير دهشته لهذا الاقتراح المفاجيء، شرح اللواء طلعت اقتراحه بسؤاله لماذا نجرى مسابقة للاصوات بين المتفرجين؟ لا شك ان بين هذا الجمع صوتاً غنائياً نستطيع اكتشافه الليلة. واتفق اللواء طلعت مع محمد خير على ان يكون ترديد «يا قائد الأسطول» هو موضوع المسابقة.

وتقدم ١٠ من رواد المسرح للاشتراك في المسابقة. وفي تلك الليلة أعلن عن مولد فنان جديد أثرى الساحة الفنية بعدها بصوته الساحر الجذاب وهو الفنان بادي محمد الطيب وهو واحد من المتسابقين العشرة.

واللواء طلعت فريد ايضاً صاحب فكرة فندق المسرح القومي «مبنى التلفزيون حالياً» وكان مستوى الخدمات في ذلك الفندق على نفس مستوى خدمات الجراندي أوتيل. وكان بالإضافة الى الفرق الزائرة يؤمه المواطنون مساء حيث خدمات حديقة السطح، وفي عهد طلعت فريد ولد التلفزيون في شكل هدية من ألمانيا الاتحادية، والرجل ايضاً صاحب فكرة الرحلة الفنية الى الجنوب والتي وردت تفاصيلها في أحد فصول هذا الكتاب.

وظلعت فريد عرفت عنه مواقفه الانسانية في صورها المتعددة، في أحد المرات



الاحتفال بمناسبة اهداء الصنم ستارة للمسرح القومي



الرائد القاج حمد

كتب له شاب من الخريف في طريقه للزواج، كتب له يحكى عن الصعوبات المادية التى واجهته الى ان اكمل متطلبات الزواج الا أن أهل العروس أصروا ان يحبى زفاف بنتهم الوحيدة الفنان أحمد المصطفى وحسن عطية وانه لا يملك لذلك سبيلا . . فما كان من اللواء الا ان حول الرسالة الى الصباغ (الرائد التاج حمد) مراقب الاذاعة، فقال له اقرأ هذه الرسالة فقرأها التاج وقال له اللواء : هل يمكن ان تنفذ هذا الكلام؟ فقال نعم، سلمه الرسالة وقال له نقل. فدعانا السيد التاج حمد أنا والفنان أحمد المصطفى وطرح علينا الموضوع وقبلناه فرحين مستبشرين وفعلاً قمنا بإخطار العريس وحددنا له اليوم وطلبنا منه أن يحدد لنا المكان بالضبط. واستعدينا في اليوم المحدد أنا وزميل أحمد المصطفى والعازفين لاقامة الحفل. واستعد مدير الاذاعة بالميكروفونات وجهاز مسرحاً متنقلاً وكشافات الاضاءة وثلاثة خرفان وكاميرات تصوير وجميع مستلزمات الحفل وذهبنا الى القرية واستقبلنا استقبالا عظيماً وسهرنا بالعروسين وضيوفهم حتى الساعات الاولى من صباح اليوم التالى. وشهدت الجريف حفلاً رائعاً لم تشهده من قبل.

أطال الله عمر اللواء محمد طلعت فريد وجزاه كل خير لما قدمه لبلده ولوطنه وللفن بصفة خاصة. والتحية موصولة الى العميد الركن التاج حمد.

فرصة ضاعت

● فى أوائل الخمسينات وأنا أسعى حثيثاً فى حياتى الفنية واخذت شمس شهرتى ويجدى غملاً الأفاق، أرسل لى الرحالة السودانى أحمد حسن مطر من امريكا عن طريق وكالة حكومة السودان بالقاهرة التى اتصلت بدورها بمكتب الاتصال العام بالخرطوم فالاذاعة حيث عنوانى لتوصل لى رسالة مطر لى وكانت رسالة مختصرة جداً، فحواها انه سمع بان هناك فتاة اسمها سعدية الفوادية ترقص وتغنى وتعزف على العود وطلب منى ان اتصل بها لدعوتنا معاً فى جولة فى امريكا الشمالية والجنوبية ينظمها هو لتغنى للجاليات العربية هناك.

ولما لم تكن لى معرفة سابقة بالرحالة أحمد مطر كما اننى تخوفت من تلك الرحلة ظناً بانه غير جاد ولما كان السفر الى اوربا لم يخطر لى على بال فى ذلك الزمان فقد رأيت فى عرض السيد مطر ضرباً من الخيال وعلى سبيل التندر، نقلت فحوى الرسالة الى سعدية فقالت : هى امريكا دى وين 11؟ فرديت والله سؤال وجيه . . ونسيت

موضوع الرسالة تماماً على اننى لم اشعر باننى قد اضعفت فرصة ذهبية الا حينما عاد السيد مطر للسودان نهائياً بعد الاستقلال وبشر مطر مذكراته المثيرة في اوائل الستينات وقرأت فيها الجولة المثيرة التى نظمها لمغنية زنجية من امريكا الوسطى بعد ان فقد الامل فى اتصالنا به واسمها «أسترا» وطاف بها كل امريكا الشمالية والجنوبية فجننى من ذلك مالا وفيراً اما هى فبجانب ما جنته من مال فقد اصابته شهرة ومجداً فعضضت بتان الندم على ما فاتنى فى امريكا وربما استقرت فى البرازيل مع مطر حيث كان يعيش وغنيبت خدائى بالاسبا نيولى .

الباب السابع

الأغاني

في الفؤاد

للمرحوم الشاعر يوسف النني

في الفؤاد ترعاه العناية بين ضلوعى الوطن العزيز

لعداه يسوى النكاية وان هزمت بلملم قوايا
غير سلامتك ما عندي غاية انشاء الله تسلم يا وطني العزيز

مرفعين ضيلان وهازل شقوا يطن الاسد المنازل
نبقى حزمة كفانا المهازل ونبقى درقة وطننا عزيز

ليه ما ارعى الوطن الرعماني والدهاء اشيلو واعاني
الشباب والشيب شجعاني قالوا نفدى الوطن العزيز

شفنا فيهم جواب فيافي والبطيروا يسايقوا السوافي
ما مراد عفارم عوافي غير يمجّد وطنه العزيز

من خلوق الريف لي سدودها البلاد معروفات حدوده
سودانتنا جبهة الشبقاله خورة ونبقى درقة وطننا عزيز

طبيعي اعشق صيده ورماله ما بيعه واقول مالي مالو
ما يكون آله البى جبالو داير يكتف وطني العزيز

عندى وطنى يفضيلى حاجة ما بسببه واروح لى خواجة
يغنى بلده ويحيجنا حاجة لعدوك يا وطنى العزيز

بدينى افخر واعتز وابشر ما بهاب الموت المكثـر
وما بخش مدرسة البشر عندى معهد وطنى العزيز

فى القواد ترعاه العناية

للشاعر المهندس الدبلوماسى المرحوم يوسف التنى يصف فيها قوة المرفعين - ضبان
- هازل - الشقوا بطن الاسد المنازل فهى وطنية سياسية كاملة الدسم اعطانى اياها
بعد تخرجه من المدرسة مباشرة وكان يجازى فيها احدى الحان اغانى الخليل .

بنى الاسلام

بنى الاسلام يا وفودنا قوموا نحى المجد القديم

ما ثلاث وضاعت جهودنا لما كان الاسلام يقودنا
تحت رايته انتصرت وفودنا اقرا الآيات من شهودنا
كيف بنرضى الالهام تسودنا قوموا نوق لله عهدنا

بطلوا التحيز فى الدوائر احيوا واجب الدين والشعائر
قوموا هبوا وصفوا الضمائر ديننا دين الحق والبيئات
انقذوه وزبحوا المستنائر كان قبيل فى مهدة ماير
ما اضمحل وما كان زميم

انصروا الاسلام شيلوا رايته فوق رؤوسكم قامت بدايته

بشوا حول العالم دعائته لما توصل آخر نهايته
صارخ الاسلام من رزائته كل ساعى اليشدد سعائته
المجد لا بد يلقي غايته في ضمان الله ورعايته
تلقى منه النصر العظيم

انت سيد الكون يا الاهی انت ربى ومولای وجاهی
انت فینا الامر وناهی فیک واضع املى ومباهی
تعلم الاسرار ماك ساهی اجلو عن كاهلنا الملاهی
کی نرى الاسلام مجده زاهی واجلن عقدى وفك فاهی
واجمل التنزیل لی ندیم

بنى الاسلام

ابراهيم سوار الذهب

يبدأ الشاعر قصيدته الدينية مستنقراً وعود الاسلام وبنيه ليعيدوا ما كن للاسلام
من مجد وسؤدد ثم يذكرهم بأنه لم تضع جهودهم السابقة وعهودهم التليدة عندما
كانوا متمسكين بكتاب الله القويم الذى لم يكن يوماً مهزوماً ولا كان زمياً .
وايضاً يدعوهم لكي يملأوا العالم بقوة الاسلام السابقة والحالية على ايديهم وعلى
كل ساع ارشاد سعائته وكل عجد في هذا السبيل سيصل بإذن الله الى ما يصبو اليه .
ونختم الشاعر قصيدته بابتهالات وتعظيم لسيد الكون وخالفه واضعاً كل كل آمال
الشعوب الاسلامية وآمالها بين يدي الله لكي يعود الاسلام كما كان واقوى ويدعوهم
اخيراً لكي يكون كتابه الكريم خير جليس ونديم .

ست العربية

للمرحوم الشاعر بشير عبد الرحمن

دى صدفة فى الجمال شغلت علينا الببال
والليلة كانت عال خلبت صديقنا (جمال)

مشينا	قصر النيل	بين الرياض ع النيل
زولنا	الزراعى عليل	والحب ده شيلو ثقيل
داك	ابو الاشبال	سعدنا فى التمثال
دا	الدوخ	وجاب ليا الاستقلال
طلبوه	للتوظيف	قالوا لو سيب الريف
لكن	حبى عفيف	ما بيرضى بالتزيف
ما	بيرضى بالتزيف	لو كان نفر فى رديف
فاروقنا	فخر الجيل	قائد شباب النيل
رائدنا	ما لو متيل	وعثمورنا ده شغلو ثقيل
عربيتك	الصيلون	خضرا وجميلة لون
بتسابق	البلون	بتشيلنا غير نولون

ست العربية

للشاعر الطالب بشير عبدالرحمن

يقال ان الطالب بشير عبدالرحمن هرب من الاستعمار فى السودان الى مصر ليتلقى حظا اوفر فى التعليم وفعلا التحق بكلية مشنهر الزراعية، واستقر وفى اثناء دراسته وصلت جماعة من الاخوة السودانيين فى اجازة سنوية عادية الى القاهرة وكانوا يعلمون بان الشاب الطالب بشير موجود وفكروا بالاتصال به للتعرف على حالته الدراسية والصحية والمالية ووجدوه بخير وعافية لا ينقصه الا رؤية الوطن والاهل فقالوا له لماذا لا تعود الى السودان ولو فى اجازة وكان يدور هذا الحوار فى منتهى الجمال شارع عدلى ولم يزل هذا المقهى واخلوانى موجود الى الان وفى اثناء وجودهم وحوارهم مع الشاب بشير وكان من بين الاخوة محى الدين جمال ابوسيف، مرت بالشارع فتاة ويقال انها من بنات زوات ذلك العصر وكانت تقود عربتها بنفسها واسترعاهما مطر الاخوة الملونين اوقفت عربتها ونزلت وكانت محجة واطنها كانت اعلامية وحببتهم وحبوها وقالت لهم من اين انتم فقالوا لها من السودان وبعد ان عرفت هويتهم .

طلبت منهم ان تفسحهم فى شوارع مصر وطبعما وافقوا جميعا ومرت باول شارع وكان قصر النيل بتمنال سعد باشا بكبرى قصر النيل وكان الشاب شاعر مبتدئ انفعلى بهذه الرحلة وجماطا وتكلم عن نفسه وعن الملك فاروق وسعد واخوانه الذين

طلبوا منه الرجوع الى السودان والكفاح من الداخل ولكنه اصر على مواصلة دراسته واقامها وكانت ايام زمان ومطربى زمان وسفرهم لمصر وتسجيل اغانيهم وكان من بينهم الفنان الراحل الشاب ابراهيم عبدالجليل وكانوا يسافرون بالقطار وقابلهم الشاعر بشير ومعه القصيدة كاملة وهداها له ليلحنها ويغنيها وفعلا غناها ابراهيم وبعد فترة من الزمن تعارفنا انا وابراهيم، وطلبت منه ان يهديني القصيدة لانى معجب بها لانها كانت اول اغنية سياسية غير مغلفة وخفيفة من حيث الكلمات والمعاني وصرت اغنيها في كل مكان ولكن لم اسجلها لاي جهة رسمية

المدرسة

كلمات ولحن خليل فرح

يلا نمشى المدرسة	سادة، غير اساور غير رصا
يلا سيبى الفطرسية	قومي افرزى كتب المدرسة
الساعة بيته دقت يا ام رصا	نايمة والنبه حارسا
يلا نحضر مجلسا	وانتى لسه ليشه مجلسا
بكرة تبقى عادة ومخلصة	ما بتنفوت عليك مخالصة
دارسة مالك جاهلة مخنسة	قادلة بي. كتابه مؤنسة
حاشا ما تربيتى مدنسة	لسه لسه عزك ما اتنسى
قالوا جاهلة وخاملة مدسدسة	ابدى من عليمة مقدسة
اسألهم اهل الهندسة	الدنيا دايرة وله مسدسة

المدرسة

خليل فرح

الفها الخليل لاول فتاتين سودانيتين دخلتا مدرسة الاتحاد العليا في العشرينات وهم نقيه فرح بيه ابوزيد، واحدى بنات اسرة الخانجي المعروفة بالعلم والمعرفة وكانت نقيه ايضا اول من قادت عربة خاصة تملكها واول من عزقت على البيانو الذى كان ملكا لها وابدعت في اجادته وسوف اتكلم عنها في غير هذا المكان

فتاتى وبلادى

سلام فيه تبريح وشوق
وشوق الحر تعشقه النداما

يا فتاتى انت لا تدرين ما بى
من هوى تلك الرواى
فى صفاف النيل كم يخلو عذابى
هى لحدى .. هى لحدى .. هى مائى .. وسرايى

يا فتاتى اسكى فى الكأس خلدا
وامسقيه حنظلا ام كان شهدا
اسقيه لا تبالى قد اتى اليوم المقدى
قد قسمت ان اعيد اليوم للسودان مجدا

يا بلادى	من حياتى من دمائى	هات كأسك فاملئيه
مافتاتى	انت طبى ودوائى	فهاك جرحى ضمديه
	فانت يا ليلى وبلادى	
	كل شىء فى فوادى	

حين عشان منصور

هذه الاغنية الوطنية الفها الشاعر الشاب الثائر على الإستعمار ومضى من الاغاني المغلفة وتحموى كل انواع الكلمات التى تعنى طرد المستعمر ومجلى فى كلماتها حيث البلاغة والمعاني المزدوجة ذات الوجهين الغزل الرفيع والطرب - طرد المستعمر ببلاغة ودبلوماسية عالية وكان الشاعر الشاب لم يتجاوز العشرين من عمره وكان طالبا بالثانوى ،

اغنية الجنوب

كلمات المرحوم المرضى محمد خير

خفه	شوق	طروب	كلما	قيل	الجنوب
جنة	الخلد	قطوف	وزهور		وطيوب

وهذا القلب ونادى اين منى يا جنوب

قيل	الطل	الزهورا	يترحن	سكارى
وسقى	الفجر	الثغورا	فتايلن	العذارى
وكسا	الغيم	التلالا	تمددن	ظلالا
والندى	قاب	وسالا	يحمل	السحر شمالا

واتى	النيل	الضفاف	فراقصن	خفافا
يقترفن	الحب	والمنحة	والفرحة	اغترافا
وشدا	الطير	وغنى	شاعر	يسكب
قدسيا	ليس	يفنى	يملا	الارواح فنا

مثلا تموى القلوب اين منى يا جنوب

اين	منى	قلك	الوادى	وهاتيك	الجبال
-----	-----	-----	--------	--------	--------

والننى الرراق ينس
اب وتمتد الظلال
والربى تختال فى وشى
وتختال التلال
والنسيم الرخو يلهو
والظلال العذب الذلال
والعدارى الغيد كالليل
هدوءا وجمال
نحن يا قلب جنوب
والهوى فىنا شال
هف نفسى يا جنوب
اين منى يا جنوب

(الجنوب) جنوب السودان

هذه القصيدة نظمها الشاعر المهندس مرضى محمد خير (ميهان) عندما نقل الى جنوب السودان للعمل الحكومى هناك وهو مكره لبعد الجنوب عن العاصمة ولصغر سنه والغربة. وصل مقر عمله بالجنوب واندش جدا عندما وجد غير ما كان يفكر فيه وجد عالم اخر، جمال الطبيعة فى غاباتها فى نيلها المتفرع المشحون بكل انواع حيوانات النيل المفترسة والاليفة المسالمة وحسان الجنوب باجسامهن الابانوسيه ورقصاتهن الجميلة التى تقام كل يوم ليلا تدق فيها الطبول ويرقصون ازواجا ويتغنون باغانى تتناسب مع الوقت اذا فصل الحريف او الشتاء اوزمن الحصاد واندمج الشاعر (ميهان) ونسى كل شىء عن الشمال وفى تلك اللحظات حضر من الخرطوم ابو الصحف والاعلامى الكبير احمد يوسف هاشم وزار صاحبه المرضى واطلنه سكن معه وقضى ماموريته ونقل راجعا الى الخرطوم ولكنه لم يرجع وحده بل كان يحمل معه هذه القصيدة مرسلة بتوقيع مرضى لكى الحنأ واغنيها فى الاذاعة ويسمعهها فى الجنوب فى اقرب فرصة ان امكن برجاء شديد ولم انخيب امله بل قمت باللحن والغناء وسجلتها فعلا بلحن صورت فيه الوابور وصوتها وكيف ابهرت ووصفت حالته بعد ان حكاها الى ابو الصحف.

سعاد

كلمات حسين عثمان منصور

هوى يا سعاد واننى يا ثريا نعلن الجهاد ننشد الحرية
هوى يا عذيلة وقبلى سلاحى خنقى الالم ضمدى جراحى

يا فخر الشعوب عشت يا سوداني
حرر السهول وانصر البوادي
يا فخر الشعوب عشت يا سوداني
كسرت القيود حققت الاماني
يا فخر الشعوب عشت يا سوداني

طرزى العلم غنى لي كفاحي
دقات الطبول هتفت ليك تنادي
وازحف كالسبيل في وجه الاعادي
في كتاب الخلود سجلت المعاني
ليك بالروح بجود رددت الاغاني

سعاد اعنية وطنية

للشاعر حسين عثمان منصور احدي روائع الشاعر حسين عثمان منصور نكتبها
لجملها وبعدها عن مدح اي شخص غير السودان وارض السودان وبنيت السودان
وعلم السودان وجهاد السودان وتعليم السودان...

جنابن الشاطيء

كلمات ولحن خليل فرح

بين جنابن الشاطيء	وبين قصور الروم
نحي زهرة روما	وابك يا مغروم
درة سالبة عقولنا	لبسوها طقوم
ملكة باسطة قلوبنا	تبيت عليها تقوم
الطريق ان مرث	بالخلق مزحوم
كالهلال	الناس عليها تحوم
شوف عناقيد ديسا	تقول عنب في كروم
شوف . وريدا المائل	زى زجاجة روم
القوام	والحشا المبروم
والنصدير	زى خليج الروم

خلي	جات	متبوعة	الصافية	كالدينار
في	القوام	مربوعة	شوقا	عالية
موضة	آخر	موضة	هيفا	غير
روضة	داخل	روضة	غنى	فيها
شوف	جينا	اهل	ضو	فوقه
منه	هل	الشارع	منه	بق
طالعة	ما	بتقابل	ذى	لهيب
تخرق		البتهابل	والبعيد	في
			نار	نار

بين جنائين الشاط و بين قصور الروم
 هذه القصيدة نظمها الشاعر خليل افندى فرح لفتاة يونانية كانت تسكن في قصر
 في الحى الافريقى شارع المحطة الاوسطى الجمهورية الان، وكانت الفتاة ذات حسن
 رائع حباها الله بقوام فاره رائع وشعر ذهبي وخطوات موسيقية موقعة وكانت عندما
 تظهر في اول الشارع يتبعها كل المارة الى حيث شاءت واعجب بها الفنان الشاعر
 الاديب خليل افندى فرح ونظم لها هذه القصيدة اعجابا بجمالها ونحن نتيكها للتمتع
 فيها وفي معانيها وكيف كان الخليل يتغزل فيها والغريب في هذه الحكاية ان الفتاة كان
 اسمها باليونانى على حسب ما سمعت هو (مريا) ولكن كان الخليل يجهل اسمها
 ولكنه لم يختار اوفى فكر فبداء قصيدته بالمطلع جنائين الشاطىء منازل الانجليز وقصور
 الموم منازل بقية الاجناس من الاجانب (وابكى يا مغروم يقصد نفسه وبقية القوم
 من السودانيين وهذا يكون خليل قد انتهى من وصف مدينة الخرطوم / والغريب في
 الموضوع ان الفتاة عرفت بان احد شعراء السودان عمل لها قصيدة يتغنى بها جميع
 اهل العاصمة الثلاثة واصبحت مشهورة جدا ويعرفها جميع اهل العاصمة ويقال انها
 طارت من الفرح ولم تنم لايام طوال لانها ما كانت تعرف انها بهذا القدر من الجمال
 وطلبت من خدمها ان يعرفوها بهذا الشاعر لشكره ولا اعلم هل تم اللقاء ام لا بل
 اعرف انها تزوجت احد ابناء جنسها والعجيب في الامر انها لم تعيش معه كثيرا بل
 تزوجت ايضا من طبيب كان يسكن مدنى وعاشت معه باقى عمرها ولم يزل منزلها
 موجودا حتى الان وقد اشتراه السيد السفير السيداتى الامين محمد الامين ويسكن فيه
 الان هو واسرته اعجابا بالمنزل الظريف واصحاب المنزل . .

فردا لونا

كلمات محمد احمد محبوب

غننى من لحثك العذب الخنونا رب لحن يملأ النفس شجوننا
واذكرى البدر على خضر الربا يانعا غضا على مر السنيننا
فضض الماء فضجت حوره تتغنى يا حبيبى فردا لونا

فانثنى بخطر فى الروص ثنا يبعث الفتنة فيه والفتونا
وبناضيه بالحن الطرى ويوشى زهره والياسميننا
فتموج الطير فى اغصانه تغنى يا حبيبى فردا لونا

ذكر البدر وقد طال النوى فتنة الغاب وصداحا مينا
فرنا ينقث فى الغاب الرغى ويشيع البثرة فيه والفتونا
فاذا الغاب اسودا وظبا تغنى يا حبيبى فردا لونا

فردالونا

القمر الياقع - او القمر الاخضر

فى رحلة من رحلات الاخ الصديق العزيز الأديب المهندس الشاعر القاضى المحامى السيسى الى اوربا فى صيف سنة ٥٤ الى اوربا وفى اثناء تجواله بالقطار وفى مدينة روما وكان القطاريث اغانى هادئة جميلة من اغانى وموسيقى جميع دول اوربا استمع شاعرنا عنوان قصيدة باسم فردالونا وانتبه اليها وسمعها من اولها الى آخرها بانتباه شديد فأعجبه الاغنية بالرغم من لغتها الإيطالية وخصوصاً عنوانها وفى التو اخرج قلمه وقرطاسه وسطر الاغنية الفيردالوتية الجديدة السودانية ورجع المحجوب الى السودان . وذهبنا له للتحية والسلامة وبعد لحظات اخذنى الى احد صوالينه وقال لى سأهديك هدية تذكرنى بها مدى الحياة واخرج الورقة بسرة وقرأتها عليه مرتين وثلاثة

وراحت اردد فيها كذا يوم باحثاً عن اللحن الذى يليق بعظمة الاغنية وفكرت اخيراً بأن بعض اخوانى الموسيقيين الذين لهم باع طويل فى ذلك الوقت درست مركبى على الاخوانين عند الله عربى والاخ برعى محمد دفع الله واعطيت كل منهم نسخة للاغنية وبعد ان حفظوها وكل واحد منهم وضع تصوره ولحنه الكروكى الاولى.

واخبرت المحجوب بما حصل للاغنية وكلفنى بان ادعوهم للغداء فى اى لحظة فى اى يوم وحصل واجتمعنا ودار نقاش كبير اخذ ساعات فى كيف ندخل على الموسيقى المقدمة ثم موسيقى المذهب ثم المذهب نفسه ثم الموسيقى ثم اول المقطع من الاغنية والى آخر الاغنية وكنا كلنا نشرك فى تركيبة اللحن حتى المحجوب نفسه كان يشارك بأن يقول هذا المقطع فى نظرى يشير بهدوء وهذا يجب ان صارخ و . . . الى آخره والحق يقال كان الضلع الأكبر للفتان برعى محمد دفع الله ابنتان عبد الله عربى وهكذا لفرة اسبوع كامل وخرجت الاغنية وغنيها كذا مرة ولاقت رواجاً لا مثيل له وغنيها ايضاً فى عيد جلالة الامبراطور هيللا سلاسى ولاقت اعجاباً شديداً م الاخوان الاثيوبيين رغم انهم لا يعرفون كلمات الاغنية، ولكنهم طربوا ورقصوا فيها ليالى وليالى.

حيى لقاء بطلين

كلمات عبد المتعم عبد الحى

حيى لقاء بطلين يا شادى	حيى	امل	منشود
حيى [جمال] يا شعب الوادى	وحى	اخاء	«عبود»
والجفوة الخلقوها اجانب	راحت	ما	بتمود
ديمة نعيش اخوان وحبائب	وجمالنا	شقيق	عبود

حيوا كفاح شعبنا ثقل	فى	عبود	وجمال
وحىوا الحب فى الوادى تأصل	من	اقدم	اجيال
والجفوة الخلقوها اجانب	راحت	ما	بتمود
ديمة نعيش اخوان وحبائب	وجمالنا	شقيق	عبود

يا جمال	يا عيود	املوا	الوادى	سدود
املوا الودى	مصانع خلوا	خير	الراوى	يجود
والجبنوة الخلقوها	اجانب	راحت	ما	بتجود
ديمه نعيش اخوان	وحبايب	وجالنا	شقيق	عبود

فى زيارة رئيس ابراهيم عبود لمصر ١٩٦٠ بعد عودته من يوغسلافيا وكنت آنذاك فى اجازتى السنوية للقاهرة وكانت معى زوجتى وكنت اسكن فى اول شارع شريف فى شقة فى عمارة حسين السيد وكنت على اتصال بالاذاعة المصرية شارع الشريفين وكنت كل الصحف المصرية بان الرئيس السودانى ابراهيم عبود سيزور القاهرة وأعدت العدة لاستقبال الرئيس السودانى ومن ضمن برامج الاستقبال عمل حفل كبير بالاسكندرية بقصر رأس التين تحية فرقة اضواء المدينة يرأسه المذيع الاستاذ جلال معوض وانتخب لذلك المهرجان عدد خيالى من الفنانين لاهياء الحفل الساهر بالاسكندرية.

والفنانين بدون ترتيب: عبدالحليم حافظ - شادية - صباح - نجاه الصغيرة - فايزة احمد - ليلي مراد، والمنولوجست احمد الحداد ومن الضيوف الفنانين العرب آنذاك احمد ناجى من اليمن وكان طالب بمعهد الموسيقى العربى ولىلى الجزائرية فى زيارة لمصر للمرة الثانية فى حياتها وحسن عطية المطرب السودانى وكانت مقدمة البرنامج الممثلة الشابة زبيدة ثروت.

وصلنا جميعاً الى الاسكندرية فى الميعاد المحدد وكان الضيوف من الفنانين وبعض الفنانين المصريين ينقلهم بص جيل مريح مجهز من كل شىء لأسباب الراحة وبعض الفنانين الكبار اتوا بعرباتهم الخاصة ودخلنا الى المكان المخصص لنا وكان مريحاً وجيلاً جداً وبدأ الامتاز جلال معوض فى قراءة البرنامج ليعرف كل مطرب دوره والساعة كام، وكان فى رأس القائمة الفنان عبدالحليم حافظ وهنا حدث ما لم يكن فى الحسبان اذ ان الفنان عبدالحليم حافظ بمواعيد استديو - لتسجيل اغنية كبيرة ومحجوزة كل الاستديوهات والعازفين والمخرجين مما يستوجب وجوده بالقاهرة فى اليوم التالى مرتاحاً وكان مصرأ فى ذلك وله الحق.

وحدث هرج ومرج شديدين بحجة انه اذا غنى الفنان عبدالحليم لانه سيأخذ منهم «السوكسى» والاعجاب واصر عبدالحليم على موقفه وايضاً أصر القنانون على موقفهم

وفي هذه اللحظات وصل الرئيسان وتصدرا الحفل ولم يتبقى علي بدء الحفل الا دقائق معدودات ، وجن جنون الاستاذ جلال معروض صارخا «مش ممكن يا جماعة لازم واحد ينقذنا من الموقف دا» ، فتقدمت منه أنا قائلاً : «سأغني بعد الحليم حافظ» . فنظر الى من فوق الى تحت ومن تحت الى فوق وقال لي «انت» ! ورديت «نعم» قال «اوركسرتك جاهزة» وقلت «نعم» و برئاسة الاستاذ نصر عبد المنصف» وقد كان الاستاذ نصر اكبر منوت موسيقى وكان ينوت لمحمد عبدالوهاب وام كلثوم وعبدالحليم وعندما تغيرت نظرة الاستاذ جلال عني لأنه وجد ان الاغنية ستعزف برئاسة نصر عبد المنصف ومقال لي «والله جميل» وقلت له «على شرط ان ينتظرنى الاستاذ عبدالحليم لاعود معه بعربته الخاصة للقاهرة لان زوجتى معي لوحدها فى الشقة» .

وكان عبدالحليم يستمع لهذا الحوار فسأل جلال عبدالحليم «إيه رأيك يا استاذ عبدالحليم» ؟ فرد عبدالحليم جداً العربية فاضية بطلع معاً على طول بس بتأخذ أغنيك بحام يا استاذ حسن» ؟ «فرديت عشرة دقائق» . فرد عبدالحليم «مش معقول» فقلت «والله» وقال انتظرك وانتظر عشرة زيك .

أعلن عن عبدالحليم ودخل فغنى وأطرب وفعلاً أخذ كل الاعجاب من الحاضرين كما كان متوقعا ولكن هذا لم يهنئنى اطلاقاً لسبب واحد هو ان لوني الغنى يختلف عن بقية الألوان ويبدو انهم نسوا هذا الاختلاف . ثم أعلن عن اسمى ودخلت الاوركسترا المتكونة من خمسة وعشرين شخصاً وكان اللحن مقتبساً من أميركا اللاتينية وضجت الصنالة بالتصفيق الحار والتهنئات وعندما انتهت وجدت ان التهتافات والتصفيق كان كلها من اخواننا السودانيين المقيمين بمصر . وعندما انتهت الاغنية وخذت خلف الكواليس هبأنى الفنان عبدالحليم قائلاً : «والله انت عظيم واجتاهير معجبة بيلك قوى ، يلا بينا الى القاهرة» وعدت معه بالعربة ووجدت زوجتى مستيقظة تسمع لبقية الفنانين عبر المذياع .

خاتمة

وبعد عزيزى القارئ:-

هذه حياتى كما عشتها بكل نجاحاتها واخفاقاتها بين يديك لم أحاول أن ازورها أو أدعى ما ليس لى.. وقد قصدت أن أنشرها للملا لأن أجيال من الفنانين أبدعت وقد طوى بعضها النسيان بسبب عدم تسجيل مذكراتهم ولعل السبب يرجع الى أن بعضاً من هؤلاء كان يجهل القراءة والكتابة أما أنا فقد حظيت بقدر غير قليل من التعليم مما ساعدنى فى هذا الخصوص. أيضاً فقد حاولت أن أسجل الفترة الذهبية للفن والمجتمع مجتمع الثلاثينات والأربعينات والخمسينات والستينات حيث كان العيش سهلاً والحياة تحفها الرفاهية.. فى هذه الأجواء ازدهر الفن وازداد معجبه ومحبوه.

وقد كان حظ ابتداء عرّف العود مع الاداء الغنائى ما تقدمت به للاذاعة عام ١٩٤٠ وقد سبقنى للاذاعة الحاج محمد احمد سرور حيث قدمت اغنية خدارى وهى من كلمات الشاعر عبدالرحمن الريح ثم تواصلت اغنياى العاطفية وتلك التى ترتبط بالمواسم والمناسبات والاعیاد حتى وصل عددها الى ٢٣٥ اغنية ونشيد.

كما عملت رئيساً لاتحاد الفنانين بعد الدكتور محمد ادهم ثم نقيباً لها بعد أن سجلتها وقد كان أعضاء الاتحاد آنذاك الفنانون: احمد المصطفى، عافاه الله وحسن سليمان، ودكتور ادهم، عبدالحميد يوسف، عثمان حسين، يس بحر. كما اتاحت لى فرصة التسجيل للعديد من الاذاعات العالمية مثل صوت امريكا والبي. بى. سى واذاعة كولون، «المانيا» وصوت فرنسا وكل الدول العربية والافريقية وكنت اول فنان يسجل لاذاعة الامارات العربية المتحدة واول فنان سودانى يغنى فى التلفزيون المصرى لزواج الملك فاروق فى الدائرة التلفزيونية التى جليها الملك من فرنسا لتغطية حفلات زواجه لمدة اسبوع. وقد كان لى صولات وجولات ولقيت اغنياى صدى واسعاً من الاستحسان والقبول وقد سعدت بهذا سعادة ما بعدها سعادة وقد طوقنى شعبي بأكثر ما استحق من التقدير والعرفان منحت فى مهرجان تكريم الفن الغنائى «جمعية الفكر السودانى» اكتوبر ١٩٦٩ الميدالية الفضية والميدالية الذهبية بمناسبة معرض

قوات الشعب المسلحة في عيد الاستقلال العشرين وكذا وسام ذهبي من قاعة
الصداقة وميدالية ذهبية من اصدقائي بنادي الخرطوم وشاح واهداء من مركز
شباب الربيع مايو ١٩٨٣ واهداء نادي النصر الرياضي «جمعية الفن والموسيقى
بامدرمان» بمناسبة العيد الفضي للجمعية عام ١٩٨٦.

وقد منحتني اتحاد الدبلوماسيين السودانيين العضوية الفخرية وكذا نقابة
الاطباء العضوية الفخرية، وجامعة امدرمان الاهلية وكنت احد مؤسسي نادي
الخرطوم.

ولا يخفى على القارئ ايضاً انني عمدت الى رصد الحياة والمجتمع العاصمي
آنذاك والوقوف على النشاطات الاجتماعية المختلفة وسرد سير الاحياء من
المواطنين والاجانب القاطنين في مدينة الخرطوم وقد تفيد بعض الدارسين من
هذا الجانب.

هذا ما خطر ببالي الآن ولعل القارئ الكريم قد ألم بتفاصيل هذا الكتاب
الذي رجوت ان يكون فيه بعض النفع. والله أعلم.

ولقائي مع الجزء الثاني من مذكراتي قريباً ان
شاء الله